

مصطفى محمود



# هل هو عصر الجنون

0201743



Bibliotheca Alexandrina

دار المعارف





هل هو  
عصر الجنون



مصطفى محمود

# هل هو عصر الجنون

الطبعة السابعة



دار المعارف



## لحظة حب

لولا تجلى ربنا على مخلوقاته لما كان هناك شيء يستحق الحب في الدنيا على الإطلاق . . لا وجه ولا صوت ولا صورة ولا مذاق ولا سلوك ولا فعل ولا كلمة ولا نعمة . . فالله هو نور السموات والأرض . . فهو النور الذى نراه فى الوجوه فنحبها ، وهو نور العقول ونور الضمائر ونور البصائر وهو الحق وهو العدل . . فهو مانح فى كل أفعالنا من حق وعدل . . وهو الجمال الذى يسي فى كل طلعة جميلة وهو البهاء الذى ينخطف القلوب فى كل حضرة بهية . . فهو سبحانه مانح فى كل من نحب وهو المعبود فى كل مانعبد بلا شريك ولاند . . فأينما ولينا وجوهنا فليس ثمة إلا وجهه . . فإذا انخطف قلبك لرؤية جمالي فما خطف قلبك إلا هو . . وإذا انخطف سمعك لكلمة فما خطفها إلا الحق الذى تجلى فيها وإذا ذُبتَ لحضرة فلما استشعرت من وجود الله فيها .

فهو وحده الذى يجعل القيمة لأى قيمة . . ومن وجهه تفيض الكمالات

على كل ذى كمال .

وما الوجه إلا واحد غير أنه

إذا أنت عدت المرايا تعددا

يقول الصوفي لربه :

وأثنينا على أوصاف ليلي

ومعنى غير حسنك ماعنينا

ولذا ينظر الصوفي حوله دائماً في دهشة لأنه يرى وجه ربه في كل

شيء . فالجمال المجتمع في الذات الإلهية يراه مفصلاً في الأكوان .

والتعدد والتكثر حوله ماهو إلا إشهار وإعلان وتفصيل لما أجمل من أسرار

في ذلك الواحد فما يرى إلا الواحد ، وإنما تعددت المرايا فتعددت المشاهد

وتعددت المناظر وتعددت الزوايا . . وهو بحكم البشرية يرتبط بالحدود

والمعالم ويتوجه إلى الجهات ويعانق المحدود ولايستطيع أن يتعامل إلا مع

لحظات متفرقة . . ولكن الروح الطليقة في داخله . تتخطى هذا الستار

المزركش ذا الرقع المتعددة الذى اسمه الدنيا . وتتخطى حواجز اللحظات

لتلامس الأبدية وتعانق اللامحدود في شغف دائم ودهشة متجددة .

وملاحظة الحب المتوهجة إلا عناق ذلك الواحد .

ولذا كان الصوفي دائماً عاشقاً ولهاًناً مهيباً متياً نصف حاضر نصف

غائب . يطالع البهاء الإلهى في كل لفظة ويصغى مشبوب الفؤاد إلى كل

همسة لأنه يرى الله في عين كل ناظر ويسمعه على لسان كل متكلم

ثم إن الصمت عنده مكاملة . . والهدوء مسامرة . . والسكينة مؤانسة . .

والوحدة معية . . والانفراد صحبة . . والخلوة نجوى . وهو لهذا لايميل



ولا يضجر ولا يستوجش ، وهو عاشق ، ولكن كل ما يهوى من أسماء إنما هي رموز للواحد . وأثواب الفتنة والجمال التي تتألق بها الجميلات في ناظره إنما هي تجليات خلعتها الواحد على هذه وتلك فحضت تحتال بها .

وإذا قلت زينباً أو ثريا أو سليماً فاحكموا

أنه رمز بديع حسن تحته ثوب رفيع معلم  
وأنا الثوب على لابسه والذي يلبسه لا يعلم  
ولهذا يقول للآئمين في الهوى :

وقالوا شربت الإثم كلا وإنما

شربت التي في تركها عندي الإثم  
هنيئاً لأهل الدير كم سكرؤا بها  
وما شربوا منها ولكنهم همؤا  
وعندي منها نشوة قبل نشأتى

معى أبداً تبقى وإن بلى العظم  
ذلك هو المحبوب الواحد والوحيد . . الله جل جلاله  
ولادوام لحب إلا الحب له والحب فيه .

وما الدنيا كلها بعد ذلك وما شخصها وما رجالها وما نساؤها إلا مجرد مناسبات تهيج الذكرى إلى ذلك المحبوب وتردنا إليه وترجعنا إلى ساحته وتشوقنا إلى أوصافه .

والدنيا هي أرض الغربة والاغتراب والبعد والحجاب والغفلة والأسباب والته والضباب . . ولا عبرة فيها إلا بلحظة الصحو والفواق والشعور بلوعة الفراق . . والحنين إلى اللقيا . . وإلى بلد المحبوب . . وإلى وطننا الأول عنده

الذى منه جئنا وإليه نعود . . ثم ما يثمر هذا الحنين من تشمير للسواعد وجدّ  
فى العمل للتقرب والتحبب إلى هذا المحبوب الجليل لتكون ساعة اللقاء ساعة  
رضا لاساعة خزى .

فإذا لم تثمر حياتك بمتاعها وآلامها إلا هذه الثمرة فحسبك بها كسبا . .  
وقد عشت وأدركت وفهمت ، وإذا لم تثمر هذه المعرفة فما عشت  
وما أدركت وما كانت حياتك إلا عبثا وهى وعدمها سواء وإن امتلكت  
ذهب الأرض وعمرت ألف عام . . فأنت والدابة سواء . . بل الدابة  
أفضل لأنها تعبد الله على طريقها وتعرفه على سليقتها وتحيه على فطرتها .  
فما بال سيد الكائنات الذى أعده الله ليعرف فلم يعرف ، وزوّده ليدرك  
فلم يدرك ، واصطفاه لحبه فتولى عنه ولم يعيش إلا لحب الخسائس والتهالك  
على سقط المتاع . فإذا أضناك هوى أو أعماك طموح أو أضلتك فتنة فانظر  
تحت قدميك إلى التراب الذى يطؤه حذاؤك ، وسل نفسك كم من رؤوس  
امتلات بالفتن والأطماع والأهواء ثم غيبتها ذلك التراب . . ذلك التراب عينه  
الذى تحت حذائك . .

وإنك لتوشك أن تكون ترابا أنت الآخر يطؤه ناس آخرون . . وإنما هى  
برهة والتفاتة . . ثم ينتهى كل شىء . . فلاتضيع هذه البرهة الخاطفة فى  
خسائس الأمور . . واختر لنفسك المحبوب الذى يليق بكما لك . . المحبوب  
الذى لا يضيع عنده معروف ولا تضيع مودة . . وذلك ربك وخالقك .  
ولئن ضيعت ربك فابك ماشاء لك البكاء . . فلقد ضيعت كل شىء .  
ولا يغرك علمك . . فقد أضل الله قوما على علم وأهلك أقواما كانوا  
مستبصرين . . وعثرة العالم أسوأ بما لا يقاس من عثرة الجاهل .

فلئن كنت تطمع في نجاة فتوصل إلى فضله وليس إلى علمك . ولذُ  
بجنابه ولا تعتر بجنابك ، واسجد لتدخل من الباب الضيق والزم العبودية  
لتكون أهلاً لعطاء الربوبية .

وإذا راودتك نفسك الأمارّة وسوّ لك شيطانك بأنك على شيء فانظر  
مرة أخرى إلى التراب الذي يطؤه حذاؤك . . فذلك التراب هو الملوك الذين  
غبروا قبلك وعروشهم وأمجادهم ومواكبهم وقد انطوى فيه التصفيق والهتاف  
وماتت الضجة وسكنت الأبواق ودفنت الرايات وعاد كل شيء تراباً .  
وموعذك مع هذا التراب قريب .





## حينما تكون « أحبك » معناها أكرهك

لا توجد كلمة في القاموس تعددت معانيها وتنوعت وتناقضت بقدر كلمة  
أحبك .

وأكاد أقول إن هذه الكلمة لها من المعاني بقدر عدد الناس أى أربعة  
آلاف مليون معنى . . فالذى يقتل يقول قتلها لأنى أحبها والذى يتحر يقول  
انتحرت لأنى أحبها والمرتشى واللص والمختلس يقول فعلت ذلك لأنى أحب  
والغيور لدرجة الجنون يقول أنه يغار لأنه يحب والمتساهل لدرجة الانحلال  
يقدم زوجته لمن تشهى من الرجال ويقول فعلت ذلك من فرط الحب . .  
والصوفى المتجرد لربه يقول أرى الله فى وجوه الأطفال وفى تفتح الورود وفى  
سقسقة العصافير ورفيف الفراش ويقول حبي للمخلوقات من حبي لخالقها ؛  
ولهذا تجرد حبي من الحظوظ والأهواء والمنافع والأغراض والأوطار وصار  
حبا لله وفى الله . . وأهل الاعتدال اعترفوا بالعجز عن التجرد عن الحظوظ  
والأهواء والشهوات وقالوا حسبنا أننا أخضعنا شهواتنا لأحكام الشريعة

وأردنا الحب زواجاً وعماراً للأرض ومودة ورحمة . . وأهل الأطماع أحبوا في  
المرأة غناها وأهل الشهوات أحبوا في المرأة جسدها . . وأهل الفن أحبوا في  
المرأة جمالها . . وأهل الخير أحبوا المرأة معوانا لهم على الخير . . وأهل الشر  
أحبوا المرأة معوانا لهم على الشر . . وأهل القلق والهموم أحبوا المرأة هروبا  
وأفيونا . . وأهل الإجرام أحبوا المرأة جاسوسة ونشالة ولصّة . . وأهل  
التجارة أحبوا المرأة سمسارة . . ومديرة علاقات ومروجة سلع .

وكل صاحب ملة أحب المرأة على ملته .

وكل صاحب مشروع أحب المرأة مشروعه .

ولهذا تعددت معاني كلمة أحبك بعدد أنفاس الخلائق وبعدد أغراضهم  
وأهوائهم . . وكان معناها أحيانا أقتلك وكان معناها أحيانا أكرهك . . وكان  
معناها أحيانا استعبدك . . وكان معناها أحيانا أسلبك . . وكان معناها أحيانا  
أعطيك وكان معناها أحيانا أحب نفسي . . وكان معناها أحيانا كن لي  
وحدي . . وكان معناها أحيانا ليكن كلانا للناس . . وكان معناها أحيانا  
ليكن كلانا لله . . وكان معناها أحيانا . . ليكن حبنا مسيرة فكر أو مسيرة  
علم . . أو مشوار كفاح . . وكان معناها أحيانا . . ليكن حبنا أسرة وعائلة  
وأبناء وجيلا جديدا أحسن منا .

وتزوجت المطربة ملحنها ، والممثلة مخرجها ، والنجمة منتجها .

وتزوج الرسام الموديل ، والمدير السكرتيرة .

وتزوج كورى ومدام كورى ليكون حبها مشوار اكتشاف للراديوم .

وتزوج النبي محمد عليه الصلاة والسلام من خديجة ليكون زواجهما

مشوار رسالة من أعظم الرسائل على الأرض .



واختلفت منازل الحب حسب منازل الناس .

وتفاوتت مراتب الحب حسب مراتب الناس .. فهو شهوانى بين الشهوانين تجارى بين التجاريين نفعى بين النفعيين .. صوفى بين الصوفيين .. فى بين الفنيين .. مجرم بين المجرمين .. وهو وضع بين الوضعاء خسيس بين أهل الحسة .. ورفيع بين أهل الرفعة .. وسماوى بين أهل السماء وأرضى بين أهل الأرض .

والكل صادق فى كلمة أحبك ساعة يقولها .. أحيانا مجرد صدق لحظى .. للاستهلاك الوقتى حتى يأخذ المقابل الفورى من اللذة ثم يذهب لحال سبيله وقد نسى كل شيء .

وأحيانا عند أهل القلوب والمشاعر وأهل العمق يكون للصدق عمق وللعاطفة مدد من الزمان والدوام بقدر عمق نفوسهم وسلامة فطرتهم . وأدوم الحب ما كان لله وفى الله .

وأقصر الحب ما كان لهدف اللحظة .

وبين هذين كل درجات القصر والطول والزوال والدوام وكل ألوان الطيف .. ولا يلومن محب فى فشله إلا نفسه فإن نفسه هى القماش الذى فصل منه حبه . وفى النهاية الحب أكبر حقيقة بلا جدال . وهو أيضا أكبر وهم بلا جدال .

فانظر إلى نفسك أيها القارئ أين تقف بين هؤلاء .. ومن أى صنف تكون ويكون حبك .. وأين منزلتك بين هذه المنازل .. وأين مرتبتك بين هذه المراتب .

واقراً المقال من جديد لتعرف من أنت .. وأين أنت .



## تعدد الزوجات العصري

لأن المرأة هي الرحم وهي أصل الشجرة التي تحفظ الأنساب فقد كرمها الله بالوحدانية في الحب والزواج فالمرأة السوية لا تختار للحب والزواج إلا واحداً وهي إن كانت من أهل الفطرة السليمة فهي تكره التعدد وتكره أن يطمأها أكثر من رجل . .

أما الرجل فلأنه واضع البذرة وفي سنة الله العمار والإثمار والإخصاب فقد خلق الله فيه ميلاً إلى التعدد ليستطيع أن ييذر في أكثر من حقل ليعطي أكثر من محصول .

وقد حدد الله في شريعته هذا التعدد بأربع زوجات لمن يستطيع العدل . . ثم شفع الله هذه الشريعة بملحوظة مفيدة وهي أن الرجل لن يستطيع أن يحقق هذا العدل وإن حرص عليه . . وتلك إشارة إلى رجل آخر الزمان أو رجل اليوم الضعيف الهمة الخائر العزم الذي فقد القدرة على العدل في بيته كما فقد القدرة على العدل في مجتمعه . . وإشارة إلى جبروت المرأة في



آخر الزمان وكيف سترغم رجلها الضعيف على الوحدةانية في الحب والزواج رغم غريزته التعددية فيصبح حاله حال حريم العصر البائد وأضعف .  
لقد انتهى زمان الرجال الكبار أولى العزم الذين كانوا يعددون الزوجات ويعطون لبيوتهم ومجتمعاتهم ولحضارات عصورهم الكثير .

وأصبح رجل اليوم يحمد الله على الزوجة الواحدة إن وجدها ويقبل يده ظهرا لبطن . . وأصبحت هي التي تتبطر عليه وتعيره بنقائصه .

ولكن نزوة التعدد في هذا الرجل الخائر الضعيف لم تحمد فهي غريزة لاسبيل إلى دفعها . . وهو يكتفى اليوم بإشباعها إشباعا رمزيا فيتزوج زوجة واحدة ومعها ثلاثة تليفونات . . أو تليفونان وفتاة بالمراسلة . . أو زوجة وسكرتيرة وذلك أضعف الإيمان .

ولكن المرأة الجبارة له بالمرصاد فهي تراقب التليفونات وتفتح الخطابات وتسجل المكالمات . . وهي عند اللزوم تمارس سلطاتها المطلقة فتلقى بهدومه من الشباك وتطرده في العراء كذكر النحل وتلقى على سمعه من لواذع الكلم ماينفطر له قواده المسكين . . بل إن صاحبات المال والجاه أصبحت الواحدة منهن تعطى نفسها حقا مماثلا ، فيكون لها مدلك لعواطفها في المساء ومنشط لغرائزها في الصباح . . وزميل عمل . . ومستشار مشاكل . . وكاتم سر . . وشاعر معجب . . وصحفي مرافق لقتل الوقت .

وإن لم تعجب الزوج هذه القائمة الحافلة فالباب مفتوح على مصراعيه يخرج منه الجمل بما حمل . . وهؤلاء هن صاحبات الصالونات والمحافل والنجفات الثريات من أهل الدخل المرتفع . . ولهن العذر في هذا الجبروت فالواحدة منهن أصبحت تحمل وتلد وترضع وتعمل وتنفق على البيت وعلى

الزوج فماذا أبقى الرجل لنفسه من دولة سوى التلقيح . . . وهى وظيفة تافهة يمكن أن يحل فيها أى ذكر مكان أى ذكر . . . وهى فى جملتها دقائق . . . ولا يمكن تقويم حياة بهذه الدقائق .

ذلك هو حال رجل اليوم الضعيف الذى انتهت دولته ولم يبق على عرش هذه الدولة المنقرضة إلا أفراد من أصحاب الملايين هم الوارثون الباقون لمبدأ تعدد الزوجات . . . ومع ذلك لا يستطيع الواحد منهم أن يجمع زوجاته فى بيت أو شارع أو بلد . . . وإنما يتخذ الواحد منهم فى كل قارة زوجة ليتفادى المشاكل ثم لا يسلم فى النهاية من امرأة تقرعه بمقرعته ، فيقع أوناسيس فى جاكلين كيندى ، ويقع على خان فى ريتا هايوارث . . . وتسقى جاكلين بطلها النحاس حتى الثمالة ، فيفقد ابنه وحياته ويترك لها الثروة والدنيا لتمارس هى التعدد على طريقتهما .

والمضربون عن الزواج معذورون . . . وهؤلاء اعترفوا بضعفهم وأعلنوا خوفهم وجأهروا بحبهم واتخذوا من إضرابهم عقاباً يردون به على المرأة التى تسلطت وحكمت وطغت وظلمت وتجبرت . . . وكأنما يقولون لها من طرف اللسان . . . حسنا فلتعيشى إذن وحدك ولتحاولى الاستغناء عن الرجل إن استطعت . . . وهنيئاً لك العرش الذى اغتصبت والتاج الذى لبست .  
وانعكست قوة المرأة الجديدة على الحياة الزوجية فأصبحت الحياة اليومية البيتية صراعاً على السلطة وتنازعاً على الحكم واختفت المحبة والتعاطف والتعاون والتساند .

وأصبح الطلاق يطلّ برأسه بعد شهور أو سنوات من الزواج ليهدم الأعشاش الخربة الواهية . . . وغداً منظر المرأة الوحيدة أمام كأس البيرة عادياً

في أوروبا وأمريكا .

وغدت الشيخوخة المهجورة البائسة منظرًا مألوفًا في الملاجئ حيث يموت في الوحدة الأجداد والجدات العجائز دون أن يسأل عنهم أحد .  
وذلك هو التأخر الإنساني الذي حدث في موازاة التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمعات الجديدة .

وقد سبقتنا أوروبا وأمريكا إلى هذا التفكك الأسري . . ونحن اليوم نقلدهم للأسف دون أن نلحق بهم في السبق الآخر الذي أحرزوه وهو التقدم العلمي والتكنولوجي .

نقلدهم في مساخر الويك إند فقط وننسى أن هذه المتع التي نحاول أن نقلدها جاءت بعد أسبوع شاق من البناء والتعمير وشق الصخر والكدح والعمل . . بينما نحن نتحرك من كسل إلى كسل ثم نطلب في آخر الأسبوع يوما آخر للكسل ، والركب يسير .

والمرأة سيدة الوقت ، وفي طليعة الركب نرى مسز تاتشر على رأس الوزارة في إنجلترا وإنديرا غاندي على رأس الحكم في الهند وسيمون فيل على رأس البرلمان الأوروبي . . وماريا دي لورديس على رأس حكومة البرتغال والأم تيريزا تفوز بجائزة نوبل للسلام . . والأوائل في نتائج الابتدائية والثانوية والجامعات من الطالبات . . حتى حلبات المصارعة الحرة والكراتيه اقتحمته المرأة . . والرجل الخارق في التلفزيون جلست إلى جواره امرأة خارقة . . وفي الفضاء لحقت فالتينا بجارجارين وجميع قنوات الإعلام عندنا على رأسها قيادات نسائية . .

نحن ولاشك على مشارف عصر جديد ، وليست لدى أحد القدرة على



التنبؤ بسلبيات أو إيجابيات هذا العصر ولا إلى أى جانب سوف يميل مؤشر الأحداث . . . ولا أى دفعة سوف تعطيها الأيدي الناعمة لمسار التاريخ إلى أمام أم إلى الوراء .

لقد كادت إنديرا غاندى فى فترة حكمها السابق أن تصبح دكتاتورة . . . وكادت أن تفرض على الهند حكما مستبدا مطلقا . . . وفى ذلك اتهمها الخصوم وطلبوا تقديمها للمحاكمة .

كما ذهبت مسر تاتشر بالحكم فى إنجلترا إلى أقصى التشدد اليميني وإلى أقصى المغالاة فى الحفاظ على الرأسمالية الإنجليزية .

وينطئ من يتصور أن حكم المرأة ناعم لين مثل حضنها . . . فالواقع هو العكس . . . فالمرأة عنيدة مثابرة فى صوابها وفى خطئها . . . وطاقها على الإصرار فى الحالين أكبر من طاقة الرجال وهى لا تتنازل عما فى رأسها بسهولة . وقد اختار الله كل أنبيائه رجالا .

وهو العليم بمن خلق .

ولو رأى فى النساء صلاحية للقيادة لاختار منهن أنبياء .

ولكن الزمن تغير . . . وتدهورت نوعية الرجال .

وتدهورت النوعية الإنسانية بجملتها فأصبح خيارنا نساء فوّلّاهن الله الحكم علينا .

ولانملك الآن نحن الرجال الضعفاء إلا النظر حولنا فى إشفاق وإلّا الدعاء بالتوفيق للعصر الحديدي الجديد . . . عصر المرأة القوية ربة البيت والمصنع والمجتمع .

ونسأل الله الستر واللفظ . . .



## النار كامنة في الحجر . .

أخطر عدو للإنسان عاداته لأنها مع الوقت والتكرار والانتظام تضرب بجذورها تحت الجلد ، ثم تجرى في الإنسان مجرى الدم ، وتدخل في المزاج والشهية والمناخ النفسى . . فإذا كانت عادات خاطئة فإنها تتأصل في السلوك ويصبح لها حكم . . مثل التدخين والشراب وتعاطى المسكنات والمنبهات والمخدرات وتعاطى الحب والجنس .

مثل هذه العادات تصبح مع الزمن حكومة مستبدة لها سوط إرهابى على صاحبها .

ومعتاد الصنف - أى صنف من هذه الأصناف - سيجارة أو كأس أو مخدر أو امرأة . . هو أبداً فى احتياج دائم . . إذا لم يجد الصنف فقد عقله بحثاً عنه ، وإذا وجدته وشبع منه ، فحرج وزهد واشتاق إلى التلوين والتنويع والتصنيف واندفع فى بحث مجنون عن الجديد من هذه الألوان ليعب منه عباً .

فهو دائماً في قلق... وهو دائماً على جوع ، أو توتر ، أو ملل...  
وهو دائماً في حالة احتياج... أما الذين ابتعدوا بأنفسهم عن هذه  
العادات ، ونأوا برغباتهم عن هذه المخالفات ، فهم دائماً الأسعد حالاً...  
وهم أهل النفوس المطمئنة المتوازنة المستريحة ، وهم الأقدر دائماً على العطاء  
والإنتاج والعمل .

ولهذا... فإن أول رياضة خلقية ينصح بها شيوخنا من يريد التطهر من  
الخطائين ، هي خرق العوائد والخروج بالنفس من مألوفاتها وفطامها من  
محبوباتها . كسر سور المألوف هو الخطوة الأولى .

وهي أصعب الخطى على النفس وأشقها على سالك الطريق... لأن  
الإنسان عبد لما تعود وعدو لما جهل... وعاداته تنضبط عليها هرموناته  
وتتولف عليها عجلة حياته... فالخروج من هذه العادات كالخروج من الجلد  
واللحم شاق مؤلم مرير يدمى النفس وييكها .

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على  
حبّ الرضاع وإن تفضمه ينظم

وأول نصيحة للشيخ... هي... الترك... البعد... والترك...  
والهجر... وغضّ البصر... ومهاجمة الخواطر قبل أن تهجم عليك ،  
وطرحها وراءك .

إن أقوى الشهوات يمكن أن تموت وتذبل بالترك .  
إن النار كامنة في الحجر... ولكنها لا تخرج من كمونها إلا بقدح الحجر  
بالحجر... قدح الذكورة بالأنوثة هو الذي يولد الشر .

ابتعد واهجر واترك وغضّ بصرك .

سافر إلى أقصى الأرض .

اضرب خيمتك في فلاة . . فإذا اشتقت ، عضّ على بنانك ، واصرخ  
وابك وغنّ وانشد الشعر ، وخرّ على وجهك ساجداً ، واطلب من ربك  
المدد واشتغل بالصلاة ، واعمل طول يومك في عمل منتج مفيد .  
والغاية تستحق أن تتعب من أجلها وتدمي القدم والبنان .  
فليس أشرف من الكمال الخلق ، وقهر الهوى ورياضة النفس على  
الحكمة .

فهل بدأت معركتك . . . ؟؟

إن لم تكن قد بدأت . . فشمّر ساعديك ، وأبدأ من فورك . . قبل أن  
يعاجلك الأجل ، فتموت حيوانا ، وتحشر مع الحيوان .  
أحرق عوائدك . . اطفئ سيجارتك وحطم كأسك ، وألق بزجاجة  
المنوم من النافذة ، وغالب ضعفك ، واقمع شهوتك ونخاصم شيطانك ،  
ونخالف نفسك وقاوم محبوباتك وتحمل مكروهاتك ، واهجر أفيونتك ،  
ونخاصم معشوقتك .

يقول الصوفي الكامل محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري في إلهاماته  
الربانية :

يا عبد . . جعت فأكلت . . ما أنت مني . . ولأنا منك . . عطشت  
فشربت . . ما أنت مني ، ولأنا منك .

ومقصود الشيخ أن المسارعة في تلبية الطبع مهلكة . . وأن مجاهدة الطبع  
تبدأ من كل شيء . . من أ . ب الأكل والشرب . . فإذا طلبت المعدة



الأكل فالزم الجوع ، وإذا طلبت الشراب فالزم الظمأ . . فذلك هو التمرين الأول لفظام النفس .

ونصيحة الشيخ نصيحة عظيمة في هذا العصر العجيب . . عصر الأكل . . عصر الصباح والصراخ من أجل الياميش والمكسرات . . العصر الذى يبلغ فيه استهلاك اللحم ذروته في شهر رمضان . . شهر الصيام . هل أدركتم في أى عصر نعيش ؟ .

وفي أى عصر كان يعيش صاحبنا الصوفى الكامل ؟  
ومقدار المسافة بيننا وبينه .

وإلى أى مدى تفاوتت المراتب .

ذلك رجل كان يجاهد نفسه لفظامها من الماء والخبز .

ونحن نجاهد أنفسنا لنفطمها من الجاتوه ، وكأس البراندى والسيجار والصدور العارية ، والظهور العارية ، واللذات المختلطة آخر الأسبوع خلف الأبواب . . تلك العادات التى بدأت تتسلل إلينا من التليفزيون والسينما لتتخلل نسيج الحياة كله وتصنع منها حياة رخوة استمتاعية استهلاكية تأخذ ولا تعطى . . حياة حسية دودية عقيمة . . حياة سوسها التعود .

فحذار . . .

وألف مرة حذار . . من التعود . . .

حذار من قدح النار التى فى الحجر . . .

## هل هو عالم مجنون ؟

الحب .. والكورة .. والتليفزيون .. والكاسيت .. وحبوب منع الحمل .

ذلك هو عالم اليوم ..

زمان كان الحب العاشق يسعى على استحياء .. نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء فقبلة فعناق فخطبة فزواج .. أما اليوم في أوروبا فتبدأ العلاقة من آخرها بحبوب منع الحمل .. ثم يسأل الواحد الآخر عن اسمه وتبدأ الحكاية من نهايتها .. على طريقة السينما .. فلاش باك ..

والزواج المودرن الآن هو زواج كارى جرانت ( ٨٠ سنة ) من برباره ( ٣٠ سنة ) ... زواج أفلاطوني بهدف الرفقة الصالحة والدردشة قبل النوم .

والمخدرات لم تعد تجدها بين أيدي رجال في أواخر العمر ولكن بين أيدي أطفال المدارس .

عصر السرعة . . . ؟ ! ! .

يريد الصبيان في السادسة عشرة أن يكونوا قد فعلوا كل شيء ثم فرغوا من كل شيء .. ثم ترى الواحد منهم يحزم متاعه في سن السابعة عشرة ليقوم برحلة سياحية حول العالم .

ومكان سياح الأمس العواجيز نجد الآن أولادا وبنات في عمر الورد يحمل كل واحد محلة هدمه على ظهره ويفترش الرصيف وكأنما الأرض بعرضها غرفة نومه الخاصة .

فإذا بلغ العشرين فإن أحلام المجد والشهرة تراها أيضا من نفس الطابع السريع فهو يفكر في أن يحتل الصفحات الأولى بقتل الرئيس الأمريكي أو اغتيال البابا .. فإذا سأله لم أطلق هذه الرصاصات .. قال في هدوء .. لأن العالم يسير بطريقة لاتعجبه .. أو قال وهو يتسم .. من أجل عيون حبيتي .. فقد وعدتها أن أقوم بعمل خارق .

والطبع هو الذى يحكم الشاب ويوجه سلوكيته وليس المذهب .  
إنما يأتي اختيار المذهب نتيجة الطبع .. فالطبع الدموى الرافض الحاقد يختار المذهب الانقلابي ليتذرع به إلى هدفه وليعطى جريمته شكلا فلسفيا مقبولا أمام الآخرين فهو ماركسى أو يسارى أو تقدمى يكافح من أجل مبدأ .

ولكن الحقيقة أنه لا مبدأ له سوى الهدم وهو كذاب وخريطة العالم المذهبية تثبت كلامى .. فهما هو الشيوعى يقتل الشيوعى فى كمبوديا .. والماركسى يقتل الماركسى فى فيتنام والصين .. والمسلم يقتل المسلم فى إيران .. والمسيحى يقتل المسيحى فى أيرلندا .. والبعثى يقتل البعثى فى

سوريا والعراق . . والقومى العربى يقتل القومى العربى فى كل مكان .

الأفعال تكذب الدعاوى . . فهم يختلفون . . ؟ ! !

إنهم يرفعون نفس الرايات ومع ذلك يقتل بعضهم بعضا . .

ماذا يريدون بالضبط . .

إنها طباع دموية ترتدى أزياء مذهبية كاذبة .

والحقيقة العارية أنه لا مبدأ هناك سوى شهوة القتل .

ولهذا ماتكاد عصابة من هذه العصابات تنجح فى قلب نظام الحكم

حتى تبدأ فى تصفية بعضها البعض وفى قتل قياداتها فى شهوة تصفية

محمومة حتى لا يبقى على القمة إلا سفاح هو أكثرهم دهاء وشراسة .

( وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها )

١٢٣ - الأنعام

هم إذن أكابر مجرمين لأكثر .

وكلهم فى شقاق ليس بسبب مبادئ أو اختلاف رأى بل هو خلاف بين

مجرم وبين مجرم آخر أكثر إجراما . . نزاع سلطة . . من يكون أسبق إلى

الغدر . . صراع على موقع الجبروت والعزة . . فالكل كافر بكل شىء فيما عدا

نفسه وعزته وسطوته .

( بل الذين كفروا فى عزة وشقاق )

إنها خصائص عالم مادية وثنى لا يؤمن إلا باللمحة العاجلة وبما ينهب

وينغم .

هل فقد العالم عقله . . ؟

لا . . بل هو قد بلغ الذروة فى عقله . . لقد مشى على القمر وأنزل سفنا

على المريح . . وزرع الأجنة في قوارير ونقل قلوب الموتى إلى أجسام الأحياء . . وقضى على أمراض الجدري وشلل الأطفال والتيفوس وبنى ناطحات السحاب وخضر الصحارى وغزا الفضاء .

إذن كيف ينفق ألوف الملايين كل يوم ليصنع القنابل وقذائف الدمار وغازات الموت . ؟ .

كيف يشكو أزمة الطاقة وأزمة الغذاء وتلوث البيئة ثم ينفق نقوده ليعثر الطاقة ويبدد الغذاء ويلوث البيئة ويصنع العذاب والجوع والعري والموت لنفسه وللناس ؟

هل هو مجنون . . ؟ !

لأظن لأنه يصطنع الحجب والمنطق والحيثيات لكل مايفعل . . وقبل أن يقتل يصنع نظرية للقتل . . وقبل أن يخرب ويدمر يسوق المعاذير والمبررات والذرائع .

حتى اللامعقول نراه يكسوه بسبب معقول وثوب معقول .  
وهو دائماً المجرم والضحية في نفس الوقت .  
وهو الصياد والفريسة والجاني والمجنى عليه .  
هل هو لغز . . ؟ .

إن الله يساعدنا على فهم هذا اللغز فيقول لنا إنه خلق النفس الإنسانية قابلة لجميع المنازل والأحوال علواً وسفلاً . . فهي يمكن أن تتدنى إلى المكر الإبليسى ويمكن أن ترتفع إلى الصفاء الملائكى .  
وهي دائماً محل التلوين والتذبذب .  
لا ثبات إلا لنفوس الأنبياء والصديقين .



وهؤلاء الأنبياء قد رسموا لنا مساراً .

وهم ومن مشى على قدمهم في هذا المسار هم الفرقة الناجية . . والباقون  
حطب النار . . بل إن الباقين في النار من الآن . . وهم الكثرة والأغلبية  
الغالبة .

وهم من الآن في سعار الخلافات وفي أتون الحروب .  
إنهم في نار الشقاق والعراك والصراع من الآن . . إنهم في نار نفوسهم  
بالفعل يؤججون الأحقاد ويسعون الفتن .  
وهم عميان الدنيا ، وهم غداً عميان الآخرة .

( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ) .  
٧٢ - الإسراء

إن مايجرى في الدنيا الآن هو امتحان نتيجه معانة ومشهرة بالرموز  
والإشارات من اليوم . . وأهل النار غداً هم أهلها اليوم .  
فهل بدأت تفهم . . ؟  
انظر في نفسك تعرف الفئة التي ستؤول إليها .

وبقدر السلام الذي في نفسك ستكون من الفرقة الناجية . . وبقدر  
التوتر والغل والحقد وشهوة الهدم تكون من الفرقة الهالكة . . ولا تغرك  
البطاقات والرايات المرفوعة والتصريحات والتهافتات . . فكم من مسلم في  
البطاقة وهو أشد كفرة من أبي جهل .  
إنما النيات والأفعال هي الرجال .

والبواطن التي نجاهد في إخفائها هي حقائقنا وليس مانلبس من ثياب  
وماندلى من تصريحات .

انظر في باطنك . . وتفكر . . وتأمل . . وتعرّف على ماتخفيه . . تعلم  
أين مكانك في الدنيا . . وأين مكانك في الآخرة .

## الرايات الكاذبة

عالم اليوم هو عالم الأهواء والمصالح والنزاعات الفردية والصراعات الطائفية . . برغم أن اللافتات المرفوعة تقول شيئاً آخر وتدعى أننا في عالم الأيديولوجيات والمذاهب والمبادئ والصراعات العقائدية .

وهي لافتات كاذبة يستر بها أصحاب المخالب مخاليهم ويخفي بها الطامعون أطماعهم .

والدليل على كلامى أن معظم حروب اليوم هي حروب بين أصحاب المبدأ الواحد حرب الصين وفيتنام . . حرب فيتنام وكمبوديا . . نزاعات روسيا والصين . . فهم جميعاً يرفعون راية واحدة هي الشيوعية ويدينون بحكم واحد هو حكم طبقة البروليتاريا ويؤمنون بأيديولوجية واحدة تقول إن صانع الحوادث ومخطط التاريخ هو دائماً صراع الطبقات . . ومع ذلك يقتل بعضهم بعضاً في حروب لا تنتهى وهم طلائع طبقة واحدة .

إن أفعالهم تكذب أقوالهم ومسلكتهم يكذب مبدأهم فها هو ذا التاريخ يتحرك ويصنع بصراعات أخرى تماماً غير الصراع الطبقي . . صراعات عنصرية وعرقية ونفسية وشخصية .

وعلى الجانب الآخر نجد سوريا والعراق صاحبي الحزب الواحد والمبدأ الواحد الاشتراكي البعثي يتقاتلان . . ثم نجد العراق الدولة الإسلامية تقاتل إيران الدولة الإسلامية .

وفي أقصى الشمال في أيرلندا نجد المسيحي يقتل المسيحي .  
الأم تأكل أولادها في كل مكان . . فكيف ترفع راية الأمومة .  
إن اللافتات كاذبة .  
لسنا في عالم أيديولوجيات ومبادئ .

واليسار كاذب واليمين كاذب .

واليساريون أفاقون كاذبون واليمينيون أفاقون كاذبون .

لأحد يؤمن بما يقول ولأحد يعمل بما يؤمن .

وإنما الحقيقة أننا نعيش في عالم شبه وثني تحركه الأهواء والأطماع والمصالح . . الدول لها شكل الدول في الظاهر . . ولكنها تتصرف كعصابات في الحقيقة . . والزعماء بعضهم قطاع طرق يمارسون قطع الطريق علانية ويتباهون بالمشائق والمذابح ومطاردة الخصوم إلى أقصى الأرض .

لم تعد الخريطة خريطة مبادئ تتصارع ولادول تتطاحن بناء على مبدأ مفهوم . . وإنما بدأ التحلل والتفكك يصيب الجسم الاجتماعي . . وانحلت الدول إلى عصابات وأفراد . . وفي غياب المبادئ كاد كل فرد يصبح

جمهورية مستقلة . . وأصبح كل واحد يحارب كل واحد في منازعات يومية  
مصلحية لا تهتداً .

وتداخلت العوامل الفردية لتصنع نسيجاً معقداً للحوادث تستحيل معه  
الرؤية الواضحة ويستحيل التنبؤ .

ولم يعد من الممكن تصنيف الحوادث بالطريقة الساذجة القديمة . . إن  
الحرب هنا أو القتال هناك هو صراع بين اليمين واليسار .

لم تعد تلك الساذجة القديمة تصلح لفهم الحوادث .

السوفييت يعطون السلاح للعراق ويعطون السلاح لإيران فأين اليمين  
وأين اليسار . . ؟ روسيا تحتل أفغانستان بالدبابات فأين الكلام عن  
الإمبريالية ؟

المسيحي يقتل المسيحي في أيرلندا فأين المبادئ ؟

المسلم يقتل المسلم في العراق وإيران فأين الإسلام ؟

هل هذا هو « الهرج » الذي قال النبي عليه الصلاة والسلام أنه من  
علامات اقتراب الساعة . . والهرج هو القتل الفوضوي .

إن الإنسان إذا أسلم سفينة حياته للأهواء . . مزقت الأهواء شراعه  
وحطمت مجدافه . .

وأصبحت حياته ألعبوبة في يد الموج . . موج الهوى المتلاطم . . كل يوم  
على حال . . وكل لحظة بمزاج . . وانتكس قانونه فأصبح عقله في خدمة  
جنونه ، وحكمته في خدمة شهوته ، وثروته وسيلته إلى دماره .

وهذا حال عالم اليوم . . عالم الأهواء .

دول نامية مثل العراق وإيران لها ثروات كبيرة من عوائد البترول

تستخدم هذه الثروات في تدمير نفسها .  
ودول متقدمة في الغرب عندها علم وتكنولوجيا وإلكترونيات و طاقة  
ذرية تستخدم هذا التقدم في بناء ترسانات من السلاح ومخزونا مدمرا من  
الصواريخ والقنابل ستكون أداة دمارها .

وهذا هو إنسان الهوى في العالم المادى الوثنى الذى نعيشه .  
فأين هو من إنسان المبدأ الذى قرأنا تاريخه أيام الصحابة وفجر  
الإسلام . . إن بينهما من المسافات أكثر مما بين فلك وفلك .

ولا يكتفى أن يكون الواحد اسمه فى البطاقة أحمد وأن يضع فى العربة  
مصحفاً وأن يعلّق فى عنقه سلسلة فيها لا إله إلا الله .

فكل هذه اللافتات سوف تشهد ضده يوم لا يجدى إنساناً إلا عمله .  
فهو فى الوقت الذى ينحرف فيه غاية الانحراف يجدّد العهد كل يوم  
ويوقع المواثيق ويضع فى عنقه الصكوك والأختام ، ويصبح من فوق أعلى  
المآذن ومن فوق أبراج الكنائس أنه لا إله إلا الله .

ومطابعه التى تطبع مطبوعات الهوى والانحراف هى نفسها التى تطبع  
المصاحف والأنجيل . . وبمرور الزمن يزداد الانفصام فى هذا الإنسان  
العجيب المزدوج .

ترى هل نسير نحو يوم يصبح فيه العالم شيئاً مثل لبنان . . غابة انطلقت  
وحوشها سائبة . . لا أمن فيها ولا أمان . . ولا نظام ولا جيش ولا قانون . .  
لأن كل فرد جعل من نفسه جيشاً ونظاماً . . وأقام من نفسه قانوناً .  
ترى هل يحىّ ذلك اليوم الذى قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام . إذا  
جاء ذلك اليوم أغلق عليك بابك والزم طريقك .



## هذا الجهاز سوف يغير العالم

لندن . . الجمعة ٥ سبتمبر سنة ١٩٨٠

اكتشفت آخر الليل أنى كنت جالسا طول اليوم أمام التليفزيون لم أفعل شيئا سوى الحملقة فى الشاشة الصغيرة التى ظلت تستدرجنى من برنامج إلى برنامج . . من فيلم إلى رقصة إلى أغنية إلى ندوة إلى خبر إلى استعراض إلى سيمفونى إلى ماتش كورة إلى مسرحية إلى قصيدة حتى منتصف الليل وأنا فى سريرى معتقل باختيارى . . بل ربما أكثر قليلا من مجرد معتقل ، فقد كنت طول الوقت معتقلا الحركة أيضا معتقل الحواس سجين الانتباه فى شاشة عرضها ٢٢ بوصة لأستطيع منها فكاكا .

وحينما كان السلام الملكى البريطانى يعزف لحن الختام كنت أمسح عينى وأتساءل عن تأثير هذا الجهاز السحرى العجيب الذى قلب جميع الموازين . . فالتليفزيون الجيد أصبح تأثيره الآن عكس تأثير الكتاب الجيد . . فالكتاب الجيد يحمر الإنسان الذى يقرأه أما التليفزيون الجيد فيعتقل الإنسان الذى يشاهده . . يعتقل جوارحه ويعتقل خياله ويقيد يديه ورجليه .

وساءلت نفسى . . ترى هل هذه هى المعتقلات الاختيارية الجديدة التى توضع فيها الشعوب العصرية حيث يغسل مخها بالأغاني والرقصات وأفلام العنف ومشاهد الجنس ثم تعباً بالتوجيهات المطلوبة والدعايات المرغوبة .

وأى نوعية من الأجيال الجديدة يمكن أن تخرجها هذه الجامعات التليفزيونية الأمريكية . . لأظن أنها يمكن أن تخرج النوعية القديمة من الشباب الذى حارب وأقام إمبراطورية . . ولأظن أن الأجيال الجديدة فى أوروبا يمكن أن تحارب بحماس من أجل أية قضية . . فالشباب رخو مرفه وهو بعد عمل مرهق طول الأسبوع لا يفكر إلا فى صحبه ممتعة وحضن دافئ وكأس مترعة يغرق فيها عطلة نهاية الأسبوع .

والشباب الجديد فى أوروبا يعمل بنشاط ليكسب بوقرة وينفق بكثرة . وهذه هى العقلية المادية التى تسود العصر . . لاتدع اللحظة تفوتك . . خذ منها أقصى ماتعطيه من كسب ومتعة ولذة . . عش أيامك قبل أن تمضى ولا تعود .

تلك هى فلسفة اليوم التى يعيش لها وبها الشباب . . بعد المصنع الستريو وعلب الليل والمراقص ومبازل الويك إند . . فلسفة ينشرها ويعززها ويروج لها جهاز خطير اسمه التليفزيون العصري .

جهاز خطير سوف يغير العالم كله . . وسوف يجعل العهر على الشيوع ، والانحلال أمراً عادياً ، واتباع الهوى بداهة ، وطلب اللذة مشروعاً مثل بطاقة سكر التموين .

وفى الجانب الشيوعى والاشتراكى من العالم حيث النظم شمولية

والحزب الحاكم واحد ومنفرد بالسلطة نجد الحصار الإعلامى فى التلفزيون بالغ الذروة فى غسل الأمتاخ وتفرغ العقول وإعادة ملئها على هوى الحاكم وعلى قوالب النظام وتكاد البرامج كلها تمشى على جسور مرسومة لا تفلت منها كلمة .

بينما فى الجانب الديموقراطى الحر من العالم حيث تتعدد الأحزاب وتتعدد الآراء وتتعدد الصحف تظهر شواهد كثيرة لهذه الحرية فى البرامج التلفزيونية ويجد المشاهد أمامه أكثر من رأى يستمع إليه ويختار منه . . وهو بذلك يفلت من السجن السياسى المضروب على العقول فى النصف الشيوعى من العالم ، ولكنه يقع فى سجن شهواته بما تثير فيه برامج العرى والجنس من رغبات مستعرة تعطل عقله .

ونحن فى الحالىن أمام جهاز خطير له قدرة تشكيلية على العقول والأذهان . . وهو مع التكرار والاستمرار سوف يخلق نوعا من التعود على ألوان من البرامج الاستمتاعية يستحيل بعد ذلك تغييرها أو إيقافها . سوف نصبح أمام جمهور مثل طفل تعود على مصاصة أو لبانة إذا حاولت انتزاعها من فمه ارتفع عويله وصراخه .

ولو وقف مصلح اجتماعى يطالب بإيقاف هذه البرامج اللاهية وتحويل البرامج التلفزيونية إلى نوع من الجامعة الشعبية وتحويل الإعلام الاستمتاعى إلى إعلام تربوى . . مثل هذا المصلح سوف يواجه بالطوب ومظاهرات الاحتجاج من الجمهور نفسه . . جمهور الأغاني والقبلات والمسلسلات والرعب والدم والجنس والكورة . .

فمثل هذه البرامج أصبحت الآن أفيونة ومصاصة ولبانة يعضها المشاهد

فى تلذذ ويستمتع بسمومها وينام على تحديرها ولم يعد من الممكن انتزاعها منه إلا باستخدام القوة القهرية . . والقوة القهرية سوف تلقى بنا إلى سجن أسوأ هو الحصار الإعلامى الذى يشكو منه النصف الشيوعى من العالم . . فنحن بين نارين .

والمأزق يسير نحو حارة سدّ .

وهذا الجهاز السحري بسبيله إلى إحداث تحولات فى الوعى الإنسانى ستكون للأسف بالسلب وليس بالإيجاب .

ولن تكون أجيال التليفزيون القادمة أحسن بل أسوأ من أجيال ما قبل التليفزيون .

ويضعف من الأثر النفسى للتليفزيون . . أننا نتلقى برامجنا ونحن فى الفراش فى حالة استرخاء كامل أو فى كراسى وثيرة بالبيجاما وحولنا الأطفال يشربون بعيونهم كل حركة وكل همسة . . وهذه الحالة تجعل النفوس مفتوحة قابلة للتطبع بكل فكرة ترد عليها .

وقد بدأنا نشاهد الآن أطفالا يرتكبون عمليات قتل وسطو وطلبة بالجامعة يؤلفون عصابات . . ويعرض العالم كله تنتشر عمليات العنف والخطف واحتجاز الرهائن وتفجير القنابل . . وفى المدن الكبرى فى أوروبا لاتكاد تجد فتاة بعد السابعة عشرة محتفظة ببيكرتها .

وفى أمريكا يقول علماء النفس إن هذه نتائج طبيعية فالشاب الأمريكى لا يبلغ الثامنة عشرة إلا ويكون قد شاهد أكثر من عشرة آلاف جريمة قتل واغتصاب وزنا وسرقة تمارس أمامه على شاشات التليفزيون . . فأى غرابة

بعد هذا في أن يفقد الجسم العارى حرمة وأن يفقد القانون هيئته وأن تفقد الأعراف الخلقية سلطانها .

إن العين تألف الانحلال والفساد فيصبح من كثرة عرضه أمامها شيئاً مألوفاً لا غرابة فيه . . . وتصبح القبلات والأحضان والمضاجعة أشياء عادية مثل المصافحة .

إن ضغطة بطرف البنان على زرار أصبحت كفيلة باستحضار كل منتجات هذه المدنية العجيبة بعهرها وخلاعتها وفنها وفكرها وعلمها وصلاحتها وفسادها . . . في لحظة .

وصحيح أن التليفزيون يعرض بالفعل فنونا رفيعة وأفكارا عالية وهو يقدم الدين والقيم والعظات والعبر إلى جانب الجريمة والجنس والانحلال . . . لكن الفساد يأتي فيه مزوقاً جذاباً وهو يغازل النفس بمشهياتها ويراودها في ضعفها وهو يقدم لها وعداً عاجلاً فوراً باللذة بينما يقدم الواعظ الدينى وعداً مؤجلاً ولا يجد معه مشهيات الفن وزخرفة الشعر والموسيقى والأغاني التي يجدر بها الحواس . . . فما تلبث اللحظة الفاسدة أن تجرف أمامها كل المؤثرات الطيبة . . . وينام المشاهدون كل ليلة على الجانب اللذيذ المغرى من المسألة . نحن أمام جهاز خطير يدخل إلى المخادع وغرف النوم .

وأمام برامج تصبح من فرط التكرار من قبيل المناهج السلوكية المقررة التي يتشرها الأطفال والشباب وتسرى في دمائهم مع الشاي والقهوة والسيجارة وتتحول إلى عادات لافكاك منها . . . ثم تتحول إلى سلوك . . . ثم تصبح طباعاً وأنماطاً وملامح عصر .

هل نحن أمام جهاز سيغيّر العالم . . ؟ !

وقد يجيب البعض بأن المشكلة قائمة حتى في البلاد التي شددت الرقابة على التلفزيون ومنعت إقامة دور السينما العامة . . فبرغم الحظر والرقابة والمنع ظهرت فيها مصيبة أخطر هي أشرطة الفيديو المتسللة والمهربة والأفلام الجنسية تعرضها الشلل والعائلات المحترمة في بيوتها الخاصة . . وفيها من الغواية والإفساد والفحش أضعاف مافي السينما المباحة . . ومن وراء هذه الأشرطة المهربة تقوم تجارة عالمية منظمة ومكاتب مافيا جنسية متخصصة تعمل على نشر وتسجيل وترويج هذه البضاعة المدمرة وتدفع مبالغ مغرية للمثلاث المشهورات في مقابل دقائق من اللقطات الجنسية الفاضحة لإثارة فضول المشتري واجتذابه للصنف .

سوق نخاسة إلكترونية جديدة ضحاياها ملايين .

وهكذا تتنوع صنوف الإغواء التي يتعرض لها المواطن فمن ينجو من الإعلام الشيوعي اليساري يقع في حبال الإعلام الفاشي اليميني ، ومن ينجو من غسل مخه في الناحيتين يقع ضحية الإعلام المنحل في النظم الغربية الديمقراطية ، ومن يلجأ إلى البلاد المحافظة التي تغلق على نفسها الأبواب والنوافذ وتحكم ترايبس المنع والرقابة لايسلم من تسلل أشرطة الفيديو وأفلام البورنوجرافى من تحت عقب الباب . . ومن وراء كل هذا تقوم سوق المخدرات والكوكايين والهروين وأقراص المزاج وحقن الماكستون فورت تهيب الجو وتعد المناخ .

طوفان من المؤثرات يسير بنا إلى عصر سدوم وعمورة جديد وفتن يقف منها الحلیم حيرانا .

ويتساءل المتسائلون . . هل من حل ؟



وبرغم كل شيء.. وبرغم تحالف الظلمة على هذا العصر.. فأنا أرفض  
العنف كحل.. ولا أومن إلا بالوعى والحرية وإحياء الضمائر والمناقشة العلنية  
المفتوحة وفتح النوافذ على العيوب والاعتراف بالنقائص وعلاجها.  
لأرجوع إلى وراء.. ولأرفض لمكتسبات العلم.  
التليفزيون والسينما والراديو أدوات محايدة بريئة وهى علامات تقدم..  
وإنما هى تصبح علامات تأخر بما يوضع فيها.  
والحل هو ترشيد الإعلام عن طريق مائدة مستديرة يدير الحوار فيها  
حكماء العصر وعقلاؤه فى محاولة لإقامة مبادئ جديدة للرقابة الواعية على  
الكلمة المذاعة.

أما عصابات المافيا الجنسية والمخدرات فتحارب بأساليبها.  
ثم يبقى بعد ذلك وقبل ذلك أن يتصر كل منا فى حربه مع نفسه أولا  
ومن يخسر حربه مع نفسه يخسر فى كل الميادين ولن ينجيه قانون أو نظام أو  
أو عصابة أمم.. فهو قد خذل جميع القوانين حينما وضع سلاحه واستسلم  
للهوى من أول معركة.

فمن هناك لينصر ذلك الذى لم ينصر نفسه؟  
وفى كتاب المواقف والمحادثات للنفرى يقول الرب لعبده :  
الهوى رسول من رسل بأسى الشديد أرسلته إليك وفى الهوى نارى فإذا  
جاءك جاءتك نارى فادخلها.. قلت : كيف يارب أدخلها.. قال :  
لا تستجر بعلم ولا بمعرفة فإذا استجرت بهما أسرك الهوى وأسرهما.. وأعلم أنه  
لا مجير من الهوى إلا أنا.. ولن تخرج من نار الهوى بعلمك ولا بمعرفتك..  
وسوف تقيم فى النار حتى تأكل النار الجزء التالف من عقلك ومن نفسك..

فإذا أكلت النار ذلك الجزء تطهرت وأدركت أنه لا مجير من الهوى سوى  
فصرخت إلى فجئتكَ وصرفت عنك ناري فلم تعد إليك .  
ويقول ربنا في كتابه الكريم في أجمل آيات التوكل :  
( واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ) .

#### الأنفال - ٢٤

وذلك هو التدخل الإلهي اللطيف في لحظات التردّي حينما يشرف  
الواحد منا على إهلاك نفسه فتأتى المشيئة الإلهية فتحول بين الواحد منا  
وشهوة قلبه فتنقذه .

وذلك هو الأمل الذي يفتح الله للصارخين والمستنجدين حينما تغلق كل  
الأبواب وحينما يطمّ الطوفان وحينما لاتعود الحكمة تنجى ولا العقل يفيد وحينما  
يشاء الله حسن الختام .  
ادعو معي بحسن الختام .

## الإنسان ذلك اللغز

عجيب أمر هذا الإنسان .

رقيق حنون عطوف رؤوف جداً . . في أمريكا يتوقف المرور لأن قطعة خطر لها أن تتمخطر ببطء عبر الطريق . . ويتجمع الناس حول كلب مكسور الساق وقع من الدور السابع وتتسابق البلاغات إلى بوليس النجدة وإلى جمعية الرأفة بالحيوان وإلى جمعية الكلاب الضالة ويأتى طابور من العربات ويتحرك الموكب حاملا الكلب الجريح إلى مستشفى الكلاب ويظهر النبأ فى الصفحة الأولى من جرائد الإقليم ويتقاطر الزوار على الكلب الراقد فى جبيرة من الجبس وترفع جمعية الرأفة بالحيوان قضية على صاحب الكلب ويرافع محامون ووكلاء نيابة ويقرر القاضى غرامة كذا ألف دولار على الجانى المجرم الذى أهمل رعاية كلبه .

هذا الإنسان الرقيق الحنون العطوف الذى تحرك وجدانه وتحركت صحافته لكلب جريح .. هو نفسه وهو عينه الذى يلقي قنبلة ذرية على

هيروشيا وناجازاكي . . يقتل فيها ويجرح ويشوه سبعة ملايين ضحية آدمية بشرية . . مايزال بعضها يجرجر حياة بائسة مفعمة بآلام سرطان العظام والمثانة والكلى والجلد . . بينما هو الإنسان القاتل المحترف مايزال مستمرا في حرفته الرهيبة ، وقد تطورت صناعة الموت على يديه من قنابل ذرية إلى قنابل هيدروجينية إلى قنابل نيوترونية إلى قنابل ذرية نظيفة . وتأملوا معي كلمة « نظيفة » أى تقتل قتلا نظيفا دون أن تترك مخلفات إشعاعية . ومصنع الموت أو البنتاجون ينفق على صناعة الموت أضعاف أضعاف ماينفق فى مشاريع التنمية وأضعاف أضعاف ماينفق على الحياة والعلاج والبناء والتعمير .

لاتسرعوا وتتهموا هذا الإنسان فى عقله . .

فهذا الإنسان لا يمكن اتهامه بنقصان العقل ؛ فهو قد عبر الفضاء ومشى على القمر وأرسل سفنا إلى المريخ والزهرة والمشتري وأرسل أقمارا صناعية إلى الشمس . . وهو قد ابتكر أجهزة يسمع بها إلى همس الأمواج على أطراف المجرة . .

وهو صاحب تاريخ حافل بالفكر والفلسفة من سقراط إلى برتراند رسل فهو إذن ليس ناقص العقل .

إذن كيف نفهمه وهو ينتقل من النقيض إلى النقيض فى لحظة . . وهو يتحول من الحنان إلى الوحشية ومن العقل إلى الجنون ومن الشهامة إلى الغدر ومن العبقرية إلى الحمق . . ؟  
من هو ذلك الإنسان اللغز . . ؟

الزوجة التى تخون زوجها القوى المكتمل مع رجل ضعيف عاجز جنسيا . .

والرجل الذى يمزق زوجته بسكين ويقول باكيا . . قتلها لأنى أحبها . .  
والأوروبي المتمدن تأتية المدنية بالعلم ووسائل الترف والراحة والنظافة  
والعناية الطبية والحياة الخافلة بالمشوقات والمشهيات والسياحات الممتعة بطول  
الأرض وعرضها فيقابل هذه النعمة بالعكوف على المخدرات والإرهاب  
والعنف والانتحار .

ومريض القرحة يشرب السجائر وفى التدخين هلاكه .  
والطبيب العليم الخبير يشكو الكبد ويشرب الخمر وفيها دماره . . هو  
ليس نقص علم ولا نقص عقل فهو طبيب يعرف ماهى الخمر وماذا تفعل فى  
البدن . . وتراه فى عيادته ينصح مرضاه بعدم تعاطى الخمر . . ثم تراه  
يشربها فى بيته .

والكثرة على هذه الحال .

الغالبية بهذه الصورة من التناقض والتقلب وعدم الاتزان واضطراب  
المزاج واضطراب الأفعال والتباين بين الأقوال والأعمال . . والخلاف بين  
الظواهر والبواطن والمفارقة بين السر والعلن والتلون والتغير والتبدل . .  
والأقلية القليلة . .

وربما أقل من القليل . . هم أهل الكمال . . الأطهار فى السر والعلن . .  
الأبرار يداً وقلباً وضميراً . . أهل الثبات الذين لا يتغيرون وإن تغيرت حولهم  
الدنيا . . ولا يتبدلون ولو أغرتهم الغوايات وجاذبتهم المغريات .  
الواحد منهم حضارة .

لو عثرت عليه في الأدغال وبين البدائيين فهو حضارة وهو قد سبق  
الذين مشوا على القمر . . فهو صاحب المشوار الأطول والأشق فهو قاهر  
نفسه . . وهو مؤشر التقدم الحقيقي . . بين الكثرة الكثيرة التي تفعل مالا تقول  
وتقول مالا تفعل وهو الواحد الفرد المميز الذي له سحنة نفسية بين أغلبية  
غالبة هي على ما قلنا من الاضطراب . . ليس لها سحنة ولا وجه . . وإنما  
هي تتقلب مع الأحوال والأوقات والمصالح وتتبدل مع اللحظات وتتقل  
من النقيض إلى النقيض ومن الموقف إلى ضده .

وهؤلاء هم أهل الهوى .

وأغلب الناس أهل الهوى .

ولا يقر لأهل الهوى قرار .

لأن الهوى لا يقر له قرار .

وهم مؤشر تخلف وإن لبسوا الحرير وتقنعوا بالشهادات وتفاخروا  
بالتكنولوجيا والاختراعات .

فالسؤال بالنسبة للإنسان ليس ماذا جمع من مال ، ولا ماذا حصل من  
علم ، ولا ماذا شيد ولا ماذا اخترع . . ولكن ماذا صنع بنفسه أولاً . . ذلك  
هو الإنجاز الأول . . وهو الأساس الذي سوف يبنى عليه كل ما يأتي بعده . .  
وهو الأساس الذي يكون به تقييم كل شيء . .  
وهو مانسميه بالأخلاق .

يقول الله لحمد عليه الصلاة والسلام في القرآن :

( وإني لعلی خلق عظیم ) .

لم يقل له « وإني لعلی علم عظیم » .

فقد رأينا العلم في أمريكا وأوروبا وروسيا وماذا يصنع بدون خلق . .  
ورأينا أن الصعود الصعب هو أن تصعد على نفسك وتملك ناصيتها  
وليس أن تصعد إلى القمر وتمشي عليه .

ولهذا تحدث القرآن عن المؤثر الحقيقي والأزلي للعظمة الإنسانية وهو  
العظمة الخلقية . . أما الأجداد الأخرى فهي أجداد قابلة للتقليد ، ألم تقلد  
اليابان التكنولوجيا الأمريكية في سنوات قليلة وتتفوق عليها وتزاحمها في  
جميع الأسواق .

فمن استطاع أن يقلد النبي في كماله الخلقية . . ومن استطاع أن  
يفوقه . . ؟ ؟

ذلك هو المعراج المستحيل على عامة الناس وجماهيرهم . . لا يصعده إلا  
نبي . . ولا يقوى على السير فيه إلا أفراد هم الصديقون والشهداء والأبرار  
والأولياء . . وهم معدودون في كل أمة وفي كل عصر .  
بهم تقوم أركان الدنيا ويحفظ الله ببركتهم الأرض .  
وبانقطاعهم . . يهدم الله عمارة الكون . . ويقم القيامة . . حينئذ لا تبقى  
إلا حثالة لا تستحق أن تطلع عليها شمس .

وفي إلهامات الصوفي محمد بن عبد الجبار ابن الحسن النفرى يقول له ربه  
عن يوم القيامة .

فإني ما أزال أمسك بكل شيء حتى إذا فني جلسائي وأوليائي هتكت  
الحجاب وهدمت السموات والأرضين شوقاً إليهم وليجلسوا منى مجالسهم  
من جديد .





## الدجال يأتي على طبق طائر

خبر الأطباق الطائرة أصبح خبراً متواتراً لدرجة يصعب معها تكذيبه . .  
وحجم المعلومات وشهادات الشهود أصبح يؤلف مجلدات .  
وبعض هذه الأقوال أسطوري وبعضها يدخل في عداد الروايات  
الخرافية وبعضها يدخل في عداد المعقول . . والكلام كثير . . ولا يمكن أن  
يكون كل هذا الكلام بدون أساس .

والمبدأ في نظري مقبول تماماً فلا يمكن أن يكون هذا الكون المؤلف من  
مئات آلاف الملايين والبلايين من النجوم والكواكب خراباً بلقعا خاويًا  
لا حياة فيه ولا حياة عليه باستثناء ذرة واحدة أو هباءة تافهة سابحة في الفضاء  
اسمها الكرة الأرضية .

إن الأمر يكون شبيهاً بعمارة هائلة فيها آلاف البلايين من الشقق الخالية  
فيما عدا غرفة واحدة صغيرة في بدروم اختصاصها الله وحدها دون غيرها  
بالسكان . . وهذا أمر بعيد الاحتمال وفي القرآن إشارة إلى وجود دواب في

السموات ( ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة ) .  
( ٢٩ - الشورى )

القرآن يقول إذن بصريح العبارة إن الحياة مبثوثة في الكون كله وإن  
السموات مسكونة بدواب . كما أن الأرض مسكونة بدواب ( والدواب هي  
كل ما يدب بأرجل من إنسان وحيوان وغيره ) .  
والله يقول في نفس الآية إنه سيجمع هذه المخلوقات إذا شاء ( وهو على  
جمعهم إذا يشاء قدير ) .

وهو يقول إن من علامات القيامة أنه سيخرج للناس دابة من الأرض  
تكلمهم ( وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ) .  
من أى أرض سوف يخرج الله الدابة . . . والقرآن يقول إن هناك سبع  
أرضين . . . ونحن لانعرف من هذه الأرضين إلا أرضاً واحدة هي التي  
نسكنها . . . ولانعرف أين توجد الأراضى الست الباقيات . . . ولعلها كواكب  
بعيدة في مجتمعات نجمية بعيدة من التي نراها في السموات .  
وإعجاز الآية في إخراج الله الدابة من واحدة من هذه الأرضين التي في  
السموات ثم الإتيان بها لتكلمنا .

ماذا تكون تلك الدابة ؟ ! !  
أهى إنسان أم حيوان أم حشرة . . . وكلمة دابة تنطبق عليها  
جميعاً ؟ ؟ ! !

وحقيقة أنها سوف تكلمنا يمكن أن يفهم منها أن الحضارات قد تقدمت  
في تلك الكواكب البعيدة وأنهم سبقونا للدرجة أن الحمار هناك يمكن أن  
يتحدث اللاتينية بطلاقة كما يتحدثها علماء السوربون عندنا .

أو أن الله سوف ينطق الدابة بمعجزة . . الله أعلم .  
وأسأل وتسالون . . وبأى وسيلة مواصلات سوف تأتي الدابة إنسانا  
كانت أم حيوانا إذا أخرجها الله من تلك الأراضي البعيدة ؟ ؟ ! !  
على طبق طائر . . ربما . . لم لا . . إن الله يسوق كل شيء بأسباب  
وقوانين . . وهو ينزل المطر بمقدمة علمية محسوبة . ويجرى الرياح بتصريف  
محكم للضغوط ودرجات الحرارة . . فليس غريبا أن يبعث بهذه الدابة على  
ظهر عربة فضائية .

ومادام حدس الدين وحدس العلم اتفقا فالقرائن تصبح قوية .  
وكتب الدين تحدثنا عن نزول المسيح ومجيئ المهدي ومن قبلهما الدجال  
كمقدمات للساعة وكان النبي عليه الصلاة والسلام يستعيز في دعواته من  
فتنة الدجال .

وأى فتنة أكبر من قدوم رجل من السماوات على طبق يحى الموتى وينزل  
المطر ويخضر الصحارى ويشفى المرضى ويدعى الألوهية .  
إنها تكون الفتنة التي تقصم الظهور .

لقد أرسل الله موسى في عصر السحر بما هو من نوع السحر ( قلب العصا  
حية وشق البحر وتحويل المياه إلى دم ) وأرسل عيسى عليه السلام في عصر  
الطب بمعجزات في باب الطب مثل شفاء الأبرص وإبراء الأعمى وإحياء  
الميت وأرسل محمدا عليه الصلاة والسلام في عصر البلاغة بقمة البلاغة  
القرآن . . فلماذا نستبعد أن يبعث علينا الله في عصر الدجال بالدجال العظيم  
الذي يقارع العلم السيئ بعلم أسوأ منه .

وإذا كانت الأحاديث قد وصفته بأنه بعين واحدة . . فمن يدري ربما

كان سكان تلك الكواكب بعين واحدة .  
ولست أدعي بهذا تفسيراً وإنما أحاول أن أفهم وأحاول أن أربط ظواهر  
متعددة بعضها ببعض . وظاهرة الأجسام الفضائية التي تظهر وتختفي تواترت  
بشكل لا يمكن رفضها والطعن عليها . . وإلاّ لجاز لنا أن نطعن في صدق  
الأحاديث النبوية فحججتنا الوحيدة أيضا هي تواترها .  
وآخر ماجاءنا من أخبار هو ماحدث بالكويت من هبوط طبق طائر  
شده أربعة أحدهم أمريكي والثلاثة الباقون عرب .  
وآخر ماجاءنا من تحليلات علمية أن « شهاب تونجوسكا » وهو الانفجار  
الفضائي الذي حدث في سيبيريا في ٣٠ يونية عام ١٩٠٨ وأحال ليل أوروبا  
إلى نهار وأحرق مساحة ٢٢٠٠ كيلو متر مربع من الأشجار لم يكن شهاباً  
ولانيزكا لأنه لم يخلف حفرة في الأرض ولأن تحليلات التربة أثبتت وجود  
عناصر صوديوم وزنك وورصاص وبورون وهي ليست مخلفات نيزكية كما أن  
النباتات الجديدة والحشرات التي تكاثرت ظهرت فيها طفرات تدل على  
تلوث إشعاعي مما يدل على مصدر للطاقة النووية . . والاستنتاج الوحيد أن  
الذي انفجر هو طبق طائر كان يجري تشغيله بنوع من الطاقة النووية العالية .  
القضية إذن جادة .  
والأمر يجب أن يظل مفتوحاً للاجتهاد دون تشنجات وأيضا دون مغالاة  
في التأييد وجرى وراء الأساطير .

## المستقبل

٣ أغسطس ١٩٨٠ - لندن - ويجمور ستريت .

السماء ضبابية . . والكل يهرول في الشارع . . الأقدام السريعة تنهب الطريق هنا وهناك . . وأحياناً تتقاذف عبر الخطوط البيضاء عند الإشارات . . لأحد يتسكع . . ولا امرأة تتمخطر . . وإنما الكل يجرى ويحث الخطى وكأنما وراءه كرباج .

أتساءل . . هل هم الذين يسرعون أم أنا الذى أسير ببطء . . أحياناً كان يبدو المشهد وكأنه لقطة من أفلام شارلى شابلن القديمة التى يهرول فيها الممثلون بالحركة السريعة هنا وهناك .

وكنْتُ أنا أيضاً أبْدو غريباً مثل فيلم يدور بالحركة البطيئة .

مالذى يجعل هؤلاء الناس يهرولون هكذا مسرعين ؟ ؟

هل هو البرد ؟ ! !

لم يكن الجو بارداً بل كان دافئاً رطباً يثير الخمول .

وقد رأيتهم . . نفس هؤلاء الأوروبيين . . في الخرطوم وفي بغداد وفي الرياض وفي القاهرة وفي درجات حرارة ملتهبة يهرولون بنفس الخطوة السريعة .

إنها سلوكية ثابتة فيهم .

إنها السلوكية الأوروبية والسلوكية الشرقية وبينهما من الفارق ما بين أغنية بطيئة لأم كلثوم تتموّج طرباً وأغنية تتقاذف جنونا من أغاني الستيريو .  
كم تمنيت أن أدخل إلى داخل جمجمة أحد هؤلاء الذين يهرولون وأعرف بالضبط كيف يفكر .

لاشك أنهم يفكرون بطريقة مختلفة ويرون الدنيا بمنظار مختلف . .  
وكنت مازلت أسير بالحركة البندولية البطيئة واتساءل . . ماهو الفارق بالضبط بيننا وبينهم . . ومن منا على الخطأ ومن منا على الصواب إن كان هناك خطأ وصواب .

قلت . . أنا أعلم على الأقل شيئاً عن نفسي . . وكيف أفكر كرجل شرقي .

لاشك أن مساحة العاطفة والخيال عندنا أوسع نحن الشرقيين ونحن نستشير قلوبنا قبل أن نستشير عقولنا ونرتجل أكثر مما نخطط . .

وعن نفسي . . فأنا لأحتفل باللحظة كثيراً . . وأحياناً لأعيش اليوم وإنما أتخطاه وأسكن بخيالي في المستقبل وأعيش في هموم الموت وما بعد الموت .

ولست وحدي في ذلك الهم فالمصريون القدماء بنوا للموت أهراما لم يبنوا مثلها للحياة وعاشوا وغنوا ورقصوا وكتبوا الشعر والأناشيد لعالم ما بعد

الموت . . وكانوا أسرع الناس إلى تلقف المسيحية ثم الإسلام لأنه حدثهم عن  
الاله الواحد الذى عبده وحدهم عن الموت وما بعده وقال لهم إن الدنيا  
مجرد مزرعة للآخرة وإن حياة الآخرة هى الحياة الحقّة التى لها الدوام . . وإن  
الحياة الدنيا هو ولعب وزينة وتفاخر وإنها متاع الغرور . . فاستجابوا لهذا  
الكلام بكل نفوسهم لأن تلك كانت فطرتهم التى جبلوا عليها وعاشوا بها  
آلاف السنين . . بينما كان الإنسان الأوروبي إنساناً مختلفاً . . لم ينظر الأوروبي  
أبداً بهذا المنظار للدنيا ولم يعيش فى همّ الموت وما بعده . . وإنما كان دائماً  
مهموماً بلحظته يحاول أن يعيشها كأعرض وكأحفل ماتكون باللذة والألم . .  
وكان يستشير عقله قبل عاطفته ويخطط ولا يرتجل . . ويعيش للواقع ولا يحفل  
بالغيب .

ولهذا كنت تراه دائماً ناهضاً بالخطوة السريعة إلى العمل حريصاً على  
قطف الثمر مسارعاً إلى الاستمتاع بيوم العطلة بلا حدود ودون التفات إلى  
حرام أو حلال ودون توقف عند ماتنذر به الكتب من عذاب وعقاب فى  
الآخرة . . فلاحقيقة فى نظره سوى هذه الحياة وليس بعدها شىء وليس  
وراءها شىء .

وكانت فضائله هى فضائل العمل فهو إنسان صادق ملتزم يحترم الكلمة  
والطابور والقوانين المدنية وإشارات المرور لأن هذه الأخلاقيات هى الوسيلة  
المثلى للانتفاع بالحاضر واستثمار اللحظة وليس لأن هذه الأخلاقيات هى  
الوصايا العشر التى أمر بها الرب . . فهو أخلاقى لأسباب انتهازية وليس  
لأسباب دينية . . وهى أخلاقيات نقابة وتبادل منافع وانضباط عمل .  
وهذا التركيز بلا حدود على استثمار الحاضر بدون مخاوف دينية وبدون

هموم مستقبلية هو الذى أثمر هذه الحظوظ الدنيوية الوافرة فى كل شىء .  
ولو فهمنا نحن الدين فهمًا صحيحًا لما كنا أقل منه حماسًا لاستثمار الحاضر  
ولكانت عقولنا أكثر منهم انطلاقة لتزرع ونحرق فى مزرعة الدنيا أكثر  
لنحصد فى الآخرة أكثر فالإسلام دين علم وعمل وعقل .  
ولكن الدين جاء فى خيال الأكثرية مقترنًا بالزهد ورفض الدنيا والكسل  
واتهام العلم والحياة فى خوف والانزواء فى صومعة والعزلة والسلبية والرهبانية  
والتعبد الخاوى .

لقد أخطأوا فهم الدنيا .

وأخطأنا نحن فهم الدين .

وتحالفت فروق الطقس على مضاعفة الفوارق وتوكيدها فظهرت هذه  
السلوكية الأوروبية النشطة الناهضة بهمة وإيجابية إلى النفع والانتفاع فى  
مقابل السلوكية الشرقية الزاهدة المترامية الكسول القانعة الحاملة الراضية  
المنعزلة المنطوية فى تأمل خاوى .

كلانا مريض ومنحرف .

وكنت مازلت أنظر إلى فيلم شارلى شابلن والممثلين الذين يتقافزون فى  
حركة سريعة حولى فى وجمور ستريت وأبتسم .

وكانوا هم ينظرون إلى حركتى البندولية البطيئة ويتسمون .

وكنت أتخيل إنسانًا خياليًا يقع فى المنطقة الصحية السليمة بيننا . . إنسانًا  
جمع بين نشاط الأوروبي وعقلانيته واحتفاله باللحظة واحتشاده لإحياء  
الحاضر وبين إيمان الشرق الذى يتخذ وجه الله هدفًا لكل أعماله . . إنسانًا  
يستعمل عقله ويحترم عاطفته ويعيش ليومه ولا ينسى غده .



ترى هل يولد هذا الإنسان الثالث من تلاقح الفكرتين .  
وكيف ومتى . . وأين .

وهل هو المستقبل .

وهل جاء الدور علينا لنعبر إليهم بحضارتنا كما عبروا إلينا بحضارتهم .  
وكيف يكون العبور هذه المرة .

ذلك هو تاريخ القرن الواحد والعشرين .



## لماذا خلق الله الدنيا

من الميلاد إلى الموت والإنسان في صراع .  
مادته وترابه يشدّانه إلى تحت ، وروحه تشدّه إلى فوق .  
صراع بين عدم . . ووجود . .  
والعدم ليس مجرد خواء . . أو لا شيء ، وإنما العدم قوة سالبة بمثل  
ما أن الوجود قوة موجبة .  
المرض والشيب والشيخوخة والذبول والهزال قوى عدمية سالبة ، غلبت  
على الجسم . فجعلته مريضاً ذابلاً هزيراً .  
فإذا غلبت هذه القوى العدمية على النفس ، جعلت المزاج النفسى  
متشائماً يائساً قلقاً سوداوياً كثيباً .  
فإذا غلبت على القلب نزلت به إلى درك الحقد والأنانية والكبر والغرور  
والنفاق والشهوة .  
فإذا غلبت على العقل أظلمته بغواشى إلهالة والغباء والبلادة .

فإذا أغشت البصيرة ألفت بها في مهاوى الكفر والشرك والظلم .  
وللعدم جيوش وفرسان . . وله جنود مجندة .  
السوس الذى ينخر . . والبكتيريا التى تحلل وتهدم . . والفيروسات التى  
تنشر الفوضى والتلف . . مروجو المخدرات ، وناشرو الفتن ، وتجار  
الشهوات .

التار ، الهكسوس ، والوندال ، الذين هدموا الحضارات .  
كل هؤلاء جنود عدم وفرسانه !  
ومن وراء الغيب . . إبليس وذريته ، أكبر قوة سالبة عدمية . . شعاره  
ورايته التى يلوح بها . . أنا . . أنا . . أنا خير منه . .  
وهو يجرى فىنا مجرى الدم ، بمقدار مايقول الواحد فىنا . . أنا . . أنا . .  
أنا خير منه .

ولكن الله لم يتركنا نهياً للقوى العدمية السالبة وإنما أعطانا أعلى شحنة  
موجبة حينما نفخ فىنا من روحه .  
والله هو الفاعل الإيجابى الخالص نفخته روح ، وكلمته روح ، وحينما  
تلبس روحه المادة ، تخلع عليها الصورة والنظام والحياة والحركة والشباب  
والصحة والعقل والوعى والقيم ، والسجايا والفضائل .  
والحياة بالروح ، هى الحياة الحقّة بلامرض وبلا موت ،  
وبلا شيخوخة .

وغلبة الروح على النفس ، تنزع بها إلى الكمال والنقاء والطهر .  
وغلبة الروح على العقل تنزع به إلى الإدراك ، والعلم والمعرفة .  
وغلبة الروح على الجسد تداوى أسقامه . . وتشفى أمراضه .

ولعالم الروح جنوده المجنده من الملائكة مثلاً لعالم الظلمة شياطينه .  
وقد أطلق الله القوى السالبة العدمية ، تنازع القوى الموجبة الوجودية  
بمشيئته وخطته . . وانفرد بالهيمنة لاينازعه أحد في ملكه .

وخلق النفس الإنسانية قابلة للانفعال بالقوتين السالبة . . والموجبة قابلة  
للاحتدار الإيليسى أو التحليق الملائكى . . وجعلها مجال صراع وحلبة قتال .  
( لقد خلقنا الإنسان فى كبد ) .

أى فى مكابدة .

ومن خلال هذا القتال ينكشف محتوى النفس وينجلي سرها وتتقرر  
منزلتها ويظهر مرادها . . ويتأكد انماؤها .  
وهذه هى الدنيا وحكمها .

( الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ) .  
الدنيا هى المناسبة . . هى المناسبة للتعرف .

هى سائل التحميض الذى يظهر الظل والنور فى الصور الفوتوغرافية .  
وهكذا تفعل بنا الدنيا ، تظهرنا على حقائقنا وتظهر مافينا من ظلمة  
ونور ، فنرى بعضنا البعض فى عيون بعضنا البعض . . ونتعرف على أنفسنا  
من خلال أفعالنا ويفضى كل واحد منا بما يكتم فى قلبه فى لحظة أو أخرى .  
وهكذا تتفاضل النفوس وتتقرر مراتبها ودرجاتها .

هى مناسبة للتعرف ، خلقها الله ليعطينا من فضله ومن عدله ، بحسب  
استحقاقات يعلمها منذ الأزل ، ولانعلمها نحن .

والدنيا هى حادثة إعلامنا وتعريفنا بأنفسنا . وإعلام وتعريف كافة  
شهود الحدث من إنس وجن وملائكة وشياطين .

فلا تصح القضايا إلا إذا تم إعلام جميع الأطراف .  
وعلم الله لا يقوم حجة على خلقه إذا كان هؤلاء الخلق جاهلين .  
فكان لابد من إعلام شامل كامل .  
والدنيا هي ذلك الإعلام الشامل الكامل .  
وهي ملف الأحوال والأعمال والنوايا والحقايا لكل نفس .  
ثم بعد ذلك يأتي النشر والحشر والجمع والفصل .  
وقد رتب الله كل هذا من أجل أن يعطى ويهب ويمنح . . فما خلقنا إلا  
ليعطينا .

لم يخلقنا لعذاب .  
وما أنزل علينا الشرائع والتكاليف إلا ليسعدنا  
( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) .  
وفي سته أن يعطى كل مخلوق ما يحب .  
الذى يحب الدنيا . . يعطيه من الدنيا ، والذى يحب الآخرة يعطيه من  
الآخرة . . والذى يعشق النور ، يأخذ بيده إلى النور .  
والذى يعشق الظلمة ، يتركه للظلمة .  
ومن النفوس مالت لها إلا حياة الاشتعال والاحتراق والشهوات . .  
تلك النفوس كانت بضعة من النار فأنتهت إلى النار بحكم المشاكلة والمجانسة  
ولم يصح لها مقام إلا فيها ولم يكن لها حظ من جنة لأنها أصلا لا تحب  
الجنة . . إنما يعطى الله كل نفس ما تحب .  
( وآتاكم من كل ما سألتموه ) .  
( كلأنميد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ) ..

فقد جعل الله من نفسه وكيلا لنا ينفذ لنا رغباتنا . . ثم تكون كل نفس بعد ذلك بما كسبت رهينة .

وإذا كان الله يقول :

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

فليس ذلك عن احتياج منه لعبادتنا ، وإنما لاحتياجنا نحن لعبادته . .  
ولأن العبادة هي الحبل السرى الذى يربطنا به والذى عن طريقه يأتى المدد والعطاء مثلما يأتى الغذاء للجنين من الأم عن طريق الحبل السرى ، فإذا انقطع هذا حبل انقطع عن الجنين غذاؤه . . وبالمثل إذا قطعت هذا الحبل بينك وبين الله ، فقد حرمت نفسك من شريان المدد والعطاء ولم يحرمك ربك بل أنت الذى حرمت نفسك وقطعت رحمتك .

وإنما الله رحمة خالصة ، وعطاء خالص ، وقرب خالص .

وإنما الجفوة والبعد والقطيعة منا .

وما الدنيا بكل ما فيها إلا عطاء عاجل مؤقت يعقبه فى الآخرة عطاء آجل دائم فما خلقنا الله إلا ليعطينا فى العاجل وفى الآجل .

ألم ينفخ فىنا روحه ويخلع علينا أسمائه ويسجد لنا ملائكته ويسخر لنا سماواته ويفتح لنا كنوز أرزاقه ويطعمنا كفاراً ومؤمنين ثم بعد ذلك يعدنا بميراث الخلود ، فماذا بعد ذلك .

وهل فى الإمكان عطاء أكثر؟

لو كان هناك أكثر فإنه هو أيضا الوحيد القادر على إعطائه .

فهو وحده معطى الكثير والأكثر والكوثر .

فهو يقول لعبده :

(إنا أعطيناك الكوثر).  
ومن أجل ذلك خلقه.  
فما خلق إلا ليعطي وما خلق إلا ليرحم.  
ذلكم الله ربكم لا يكافئه ثناء ولا يتناهى إلى قدره حمد.  
لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة.



## دواء لكل داء

سيداتى وسادتى . . هل تعلمون مامعنى أن الله موجود . .  
معناه أن العدل موجود والرحمة موجودة والمغفرة موجودة . .  
معناه أن يطمئن القلب وترتاح النفس ويسكن الفؤاد ويزول القلق  
فالحق لابدّ وأصل لأصحابه .

معناه . . لن تذهب الدموع سدى ولن يمضى الصبر بلا ثمرة ولن يكون  
الخير بلامقابل ولن يمر الشر بلا رادع ولن تفلت الجريمة بلا قصاص . .  
معناه أن الكرم هو الذى يحكم الوجود وليس البخل . . وليس من طبع  
الكريم أن يسلب ما يعطيه . . فإذا كان الله منحنًا للحياة فهو لا يمكن أن يسلبها  
بالموت وإن الموت لا يمكن أن يكون سلبًا للحياة . وإنما هو انتقال بها إلى  
حياة أخرى بعد الموت ثم حياة أخرى بعد البعث ثم عروج فى السموات إلى  
مالانهاية .

معناه أنه لا عبث فى الوجود وإنما حكمة فى كل شىء . . وحكمة من وراء

كل شيء .. وحكمة في خلق كل شيء .. في الألم حكمة وفي المرض حكمة وفي العذاب حكمة .. وفي المعاناة حكمة وفي القبح حكمة وفي الفشل حكمة وفي العجز حكمة وفي القدرة حكمة ..

معناه ألا يكفّ الإعجاب وألا تموت الدهشة وألا يفتر الانهار وألا يتوقف الإجلال فنحن أمام لوحة متجددة لأعظم المبدعين .  
معناه أن تسبح العين وتكبر الأذن ويحمد اللسان ويتهى الوجدان ويبهت الجنان ..

معناه أن تتدفق نافورة القلب بالمشاعر وتحتفل الأحاسيس بكل لحظة وتزفّ الروح كل يوم جديد كأنه عرس جديد ..  
معناه ألا نعرف اليأس ولانذوق القنوط ..

ومعناه أن تذوب همومنا في كنف رحمة الرحيم ومغفرة الغفار ..  
ألا يقول لنا ربنا ( إن مع العسر يسرا ) وأن الضيق يأتي وفي طياته الفرج .. فأى بشرى أبعث للاطمئنان من هذه البشرى .

ولأن الله سبحانه .. واحد .. فلن ننقسم على أنفسنا ولن تتوزعنا الجهات ولن نتشتت بين ولاء اليمين وولاء اليسار وتزلف للشرق وتزلف للغرب وتوسّل للأغنياء وارتماء على أعتاب الأقوياء .. فكل القوة عنده وكل الغنى عنده وكل العلم عنده وكل مانطمح إليه بين يديه .. والهرب ليس منه بل إليه .. فهو الوطن والحمى والملجأ والمستند والرصيد والباب والرحاب ..

وذلك الإحساس معناه السكن والطمأنينة وراحة البال والتفاؤل والهمة والإقبال والنشاط والحماس والعمل بلا ملل وبلا فتور وبلا كسل وتلك ثمرة

« لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » في نفس قائلها الذي يشعر بها ويتمثلها ويؤمن بها ويعيشها .

وتلك هي الصيدلية التي تداوى كل أمراض النفوس وتشفي كل علل العقول وتبرئ كل أدواء القلوب .

وتلك هي صيحة التحرير التي تحطم أغلال الأيدي والأرجل والأعناق ، وهي أيضا مفتاح الطاقة المكنوزة في داخلنا ، وكلمة السر التي تحرك الجبال وتشق البحور وتغير ما لا يتغير . .

ولم يخلق إلى الآن العقار السحري الذي يحدث ذرة واحدة من هذا الأثر في النفس . .

وكل عقاقير الأعصاب تداوى شيئا وتفسد معه ألف شيء آخر . . وهي تداوى بالوهم وتريح الإنسان بأن تطفئ مصابيح عقله وتنومه وتخدّره وتلقي به إلى قاع البحر موثوقا بحجر مغمى عليه شبه جثة .

أما كلمة لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فإنها تطلق الإنسان من عقاله وتحرره من جميع العبوديات الباطلة وتبشره بالمغفرة وتنجيه من الخوف وتحفظه من الوسواس وتؤيده بالملا الأعلى وتجعله أطول من السماء هامة وأرسخ من الأرض ثباتا . . فمن استودع همه عند الله بات على ثقة ونام ملء جفنيه . .

ولأن الله هو خالق الكون ومقدر الأقدار ومحرك المصائر . . فليس في الإمكان أبدع مما كان . . لأنه المبدع بلاشبيه لايفوقه في صنعته أحد ولا يضاهيه في كماله أحد . . فلن تعود الدنيا مسرحا دمويا للشرور وإنما درسا رفيعا من دروس الحكمة .

ولأن الله موجود فإنك لست وحدك . . وإنما تحف بك العناية حيث

سرت وتحرسك المشيئة حيث حلت . .  
وذلك معناه شعور مستمر بالائتناس والصحبة والأمان . . لاهجر . .  
ولا غدر . . ولا ضياع . . ولا وحدة . . ولا وحشة ولا اكتئاب . .  
وذلك حال أهل « لا إله إلا الله » . .  
يذوقون شميم الجنة في الدنيا قبل أن يدخلوها في الآخرة وهم الملوك  
بلاعروش وبلا صولجان . . وهم الراسخون المطمئنون الثابتون لاتزلزلهم  
الزلازل ولا تحركهم النوازل . .  
تلك هي الصيدلية الإلهية لكل من داهمه القلق وفيها علاجه الوحيد . .  
وفيها الإكسير والترياق وماء الحياة الذي لا يظمأ بعده شارب . . وفيها  
الرصيد الذهبي والمستند لكل ما يتبادل على الأرض من عملات ورقية زائلة  
متبدلة . . وفيها البوصلة والمؤشر والدليل . . وفيها الدواء لكل داء .

## خطيئة الصوفية الكبرى

كانت زلة الصوفية الكبرى حينما قالوا في لحظة وجد .. لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر .. يا أنا .

ولم يحدث أبداً في تاريخ الغرام أن تحول المحب والمحبوب إلى شخص واحد إنما ظلا اثنين دائماً وأبداً . لم يتوحدَا إلا في لحظة وهم أوفى خيال شاعر أوفى هذيان الفراش ذات مساء .

وسقطة الصوفية أنها عاشت ذلك الهذيان كأنه واقع فاتخذ الصوفي حبه لله باباً ليقول :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

وهكذا سقط أكثرهم في خطيئة الحلول والاتحاد والتجسد ، ثم في وحدة الوجود الوثنية التي جعلت من الله عين كل شيء .. وجعلت الصوفي العاشق يخاطب أى شيء وكل شيء على أنه الله ليس باعتباره آية الله

وصنعتة وإبداعه وإنما عين الله وذاته .. فقال الحلاج .. أنا الله .. الله في  
الجبه .. وقال البسطامي .. سبحاني ما أعظم شأنى .. والله إن لوائى أعظم من  
لواء محمد ولأن ترانى مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة .  
وقال في لوثة أخرى :

رفعى الله بين يديه وقال .. أن خلقى يحبون إن يروك فقلت زبني  
بوجدانيتك وألبسني أنايتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا  
رأيناك .. فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك .

ثم تغالى الصوفية فى تعظيم محمد وجعلوا منه الرحمن الذى استوى على  
العرش والعقل الأول والنور الذى انشقت عنه أنوار النجوم والكواكب  
والأكوان بكافة مراتبها ..

ثم أسرفوا حتى جعلوا التوحيد خطيئة لأنه يشترط اثنين رب وعبد  
يوجدده .. وهم لا يعترفون إلا بواحد .. فقال ابن الفارض :

ولو أننى وحدت ألحدت وانسلخت

من آى جمعى مشركا بي صنعتى  
فجعل من التوحيد إشراكا ، ومادام كل شيء هو الله فكل من عبد أى  
شيء فهو على حق حتى من عبد الصنم والحجر والنار والشمس والثعبان .  
فقال ابن الفارض :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت  
كما جاء فى الأخبار من ألف حجة  
فما عبدوا غيرى وإن كان قصدهم  
سواى وإن لم يعقدوا عقد نيتى

ومن هذا المنحدر الخطر انزلق بعضهم إلى القول بأن كل أنواع العبادات على حق . . فكل شيء هو الله وما ثم إلا الله . . ثم أنكروا العذاب لأن الله لا يمكن أن يعذب نفسه وتأولوا آيات النار في الآخرة فقالوا إن المجرمين يتنعمون في النار كما يتنعم الأبرار في الجنة وأن الله يجعل النار عليهم برداً وسلاماً بعد قضاء المدة واستيفاء الحقوق وأن العذاب مشتق من كلمة العذوبة .

وقال أحد شيوخ الحلولية حينما استفزوه لقتال العدو .

وكيف أقاتل الله ( فكل شيء في نظره هو الله ) .

وقال ابن الفارض عن صلاته لله إنه إنما تصلى نفسه لنفسه إذ هو الله عينه .

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت  
كلانا متصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة  
وما كان لي صليّ سوى ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة  
وليس معي في الملك شيء سوى والمعية لم تخطر على المعيني  
وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت  
فقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي  
تحققت أنا في الحقيقة واحد . وأثبت صحو الجمع محو التثنية  
فجعل من نفسه كل شيء فهو الممد والمستمد والفاعل والقابل والرب  
والعبد . .

ونفسي كانت من عطائي مُمدّتي

## وبه تدور الأفلاك

في دارت الأفلاك فاعجب لقطبها المحيط بها والقطب مركز نقطتي  
وماسار فوق الماء أو طار في الهواء أو اخترق النيران إلا بهمتي  
إلى رسولاً كنت منى مرسلأ وذاتي بآياتي على استدلت  
والأمر كله أشبه بنفس تنظر إلى نفسها في مرآة

وشاهد إذا استجلبت نفسك ماترى بغير مرآة في المرايا الصقيلة أغيرك  
فيها لاح أم أنت ناظر إليك بها بعد انعكاس الأشعة .  
ورماه أهل زمانه بالكفر والفسوق والإباحة وهم معذورون .

ورفض الإمام ابن حنبل أن يسير في جنازة الحرث المحاسبي لتصوفه  
واختلفت سكة أهل الشريعة عن سكة الصوفية . . . أهل الشريعة جعلوا  
الحكم للعقل والنقل . . . والصوفية جعلوا الحكم للذوق - والكشف  
والإحساس الذاتي . ومن ثم وقعوا في الخلط لأن الكشف فيه الشيطاني  
والروحاني ، ويستحيل التمييز بدون ميزان الشريعة . . كما أن الأحاسيس  
الذاتية تتفاوت وتختلف بعدد الناس . . يقول الله عن الوحي الشيطاني . .  
( شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ) .  
فالشياطين يمكن أن يكون لها وحى ويمكن أن تؤتى أصحابها الكشف  
والخوارق .

وهكذا انحدر بعض غلاة الصوفية إلى أسوأ من الدروز الذين قالوا  
بالوهمية الحاكم بأمر الله ، والعلويين الذين قالوا بالوهمية على بن أبي طالب ،  
وبعض فرق اليهود الذين قالوا بالوهمية عزيز ، وبعض فوق النصارى الذين



قالوا بألوهية عيسى فقد قال بعض منهم بألوهية نفسه . . وألوهية كل شيء .  
فقال الحلّاج :

سبحان من أظهر ناسوته  
سر سنا لاهوته الثاقب  
ثم بدا في خلقه ظاهرا  
في صورة الآكل والشارب  
وماحب الرجل للمرأة عندهم إلا حب الله لنفسه .  
وعن الاسم الإلهي الذي وصف الله فيه نفسه بأنه « الظاهر » توقف ابن  
عربي فقال بأنه تعالى عين مظهر :  
فلا تنظر العين إلا إليه  
ولايقع الحكم إلا عليه  
وقال مع أصحاب وحدة الوجود بأن الله مجموع مظهر ومابطن . .  
ونسى باقي الآية التي تصف الله بأنه :  
هو الأول والآخر والظاهر والباطن .  
ومعناها الواضح أنه الأول قبل كل مظهر والآخر بعد هلاك كل  
الظهورات ، فهو إذن متعال عليها جميعاً مفارق لها وبائن عنها .  
وقال ابن عربي في كتابه الفصوص في وحدة وجود هندية صريحة :  
فما أرى بعيني إلا عينه إذ أعاين  
وقال في بيت آخر :

جمع وفرق فإن العين واحدة  
وهي الكثير لا تبقى ولا تذر

وقال :

الحق المتزه هو الخلق المشبه

ويتناقض ابن عربي بين كتاب وكتاب فزاه في الفتوحات يقول بأن الله موجود وأن ماسوى الله من أعيان ومخلوقات لها أيضا وجود وثبوت ولا يمكن أن يكون الرب عين العبد ولا يمكن أن يكون هناك جمع في العينين فيقول : كنهه وصفاً ولا تكنه ذاتاً فعين المحال بادية

أى تخلق بأخلاق الله ولكن لا تحاول أن تكون الله فهذا محال . . ومحال أن يكون العبد عين الرب ، ومحال أن تتم الوحدة والجمع بين العينين ، وإنما الرب بائن مباين مفارق أبداً وأزلاً ومتعال على مخلوقاته .

ثم يعود فيثبت وينفى في نفس الوقت :

فما أنت هو بل أنت هو وتراه

في عين الأمور مسرحاً ومقيداً

فقال بإطلاق الذات الإلهية وتقيدها .

ثم بلغ غاية التطرف فقال بأن الله هو كل شيء حتى الباطل . . ولهذا لا يجب أن تنكر الباطل .

لاتنكر الباطل في طوره

فإنه بعض ظهوراته

أى بعض ظهورات الله .

وتكاد تجد جميع الفلسفات في كتب ابن عربي تجد أرسطو وتجد

أفلاطون وتجد كانت وهيجيل وهيوم وليبنز . . وتجد وحدة الوجود الهندية .

وتجد الثنائية والتثليث والتجسيد والتجريد والوجودية . . وكل ما قيل ويقال

في المعرفة الإلهية سلبا وإيجابا تجده في سطور ابن عربي . وكتبه تحفل بالرأى ونقيضه وبالفكرة وضدّها ويكاد يكون بحراً طامياً متلاطم الموج . . وأحياناً لاتدرك ماذا يريد أن يقول ولاتعرف كيف تضع له تصنيفاً . . هل هو شاعر أو أديب أو مؤرخ أو مفكر أو فيلسوف وهل هو رباني أو شيطاني وهل هو مسلم أو بوذي أو برهمي . . ولاشك أن فيه كل هؤلاء . . والرجل أمة وحده . . وهو بالقطع لا يمكن أن يقبل كله وأيضاً لا يمكن أن يرفض كله . وهو ظاهرة في تاريخ الصوفية والفكر الإسلامي جديدة بأن يدرسها الخاصة . . ولكني لأنصح العامة بقراءته . . فكل من يخوض بحر ابن عربي بدون خلفية دينية فلسفية وبدون مجاداف الشريعة هو لامحالة هالك . . وكل من يغرق في بحره لا يخرج .

وقد انسلخت الصوفية إلى طرائقية بعدد المشايخ ، كل طريقة لها شيخها وأورادها . وقد غالت كل طريقة في طاعة شيخها حتى طلبت من المريد أن يكون بين يدي شيخه كالملت بين يدي غاسله أي يسلم إليه تسليمًا أعمى في كل شيء .

وقال الشعراني :

من أشرك بشيخه شيخاً آخر فكأنما أشرك بالله .  
وجعلت كل طريقة أورادها فوق القرآن . . بل نهى بعض المشايخ مرديهم عن قراءة القرآن وقالوا . . الورد يكفي .

وغالى بعض الصوفية في الزهد والتزهّد إلى درجة طلب الفقر ولبس الحرق وصوم الدهر وعدم الزواج وعبادة الأضرحة والتواكل والتبطل والتسول والحياة على الخبز الأسود والماء وجنح البعض الآخر إلى

العكس فظهرت فرق صوفية تدعو إلى الاستمتاع وتبيح التهلك وتحضّ عليه ومن هؤلاء ابن أبي الغراقيد الذي ادعى بأن الله حلّ في آدم وفي إبليس وفي كل شيء وأباح اللواط وزعم أن اللواط هو إيلاج نور الفاضل في المفضول . . واستباح نساء أتباعه ليولج نوره فيهن . . كما أقبلت عليه المريعات لتأخذ كل واحدة نصيبها من نوره . . وقد صلب ابن أبي الغراقيد في خلافة الرازي سنة ٣٢٢ هجرية . . كما صلب الحلاج . . .

وبهذه المغالاة في العقيدة والفكر والسلوك خرج معظم هذه الفرق عن الإسلام وأصبحوا أشبه بالهبي . . والصعاليك . . والفنانين الرافضين والشعراء الملتائين .

وكان طبيعياً ما أعلنه الوهابيون من حرب على هذه الطائفة بكافة فرقها . وما زالت الحرب قائمة إلى اليوم بين الطائفتين . . بين الصوفية الذين يسمون أنفسهم بأهل الحقيقة وبين خصومهم من أهل الشريعة وعلماء الظاهر وعلماء النقول الذين يقول عنهم الصوفية إنهم يأخذون علمهم ميتاً عن ميت بينما هم يأخذون علمهم عن الحيّ الذي لا يموت .

وللإنصاف والحق ليس كل الصوفية أهل انحراف وكفر وتطرف وليس كلهم أهل خرق وبدع وشعوذات . . وإنما مازال فيهم أهل ورع وتقوى والتزام ممن وقفوا عند . . إياك نعبد وإياك نستعين . . يتزهون ربهم عن كل هذه الترهات . . ولا تفارقهم كلمة . . ليس كمثله شيء . . رافضين التشبيه والتجسيد والحلول والاتحاد ووحدة الوجود . . ورافضين لكل هذه المتاهات الفكرية وشعارهم الدائم . . إن العجز عن درك الإدراك إدراك . . وإن كنه الله مستحيل إدراكه . . وإن العجز فيه هو عين معرفته . . وإن الدين هو

إسلام الوجه لله والعمل الصالح ومكارم الأخلاق والإيمان بكل ما جاء من رسول وكتاب . . كما أن بحر الصوفية ليس كله حيتان وأسماك قرشك قرش وثعابين وإنما أيضا فيه لآلئ ومراجين ودرر غاليات من درر الحكمة .

وتجد عند الصوفية أعذب الكلام كما تجد بين الملتزمين منهم قمما من الإيمان والإحسان ومثلا عظيمة من الجهاد في الله والتفاني في عبادته ومن الإنصاف أيضا أن نقول إن البعض من الطائفة الأخرى من أهل الشريعة وعلماء الظاهر والفقهاء تطرفوا هم أيضا وخرجت منهم فرق تحرم كل شيء وتشدد علينا في كل شيء وتكاد تجعل الحياة مستحيلة . . وقد عرفنا طائفة التكفير والهجرة في مصر وسمعنا عن طائفة التبليغ والنور في مكة التي خرج منها المهدي واحتل الكعبة مع عصابته . . وكلتاها نادتا بنفس الشعارات . . وهي شعارات مازال يرددها ويروجها بعض الفقهاء إلى الآن بأن الإذاعة حرام والتليفزيون حرام والسينما حرام والبنوك حرام ومهنة الحلاقين كفر وحلق الذقن كبيرة من الكبائر وخروج المرأة للعمل كفر وصوتها عهر والمدينة الغربية بكل ما فيها إلحاد وزندقة والديمقراطية الغربية ضلال . . والموسيقى والتصوير والغناء والمسرح فنون يجب تحريمها تحريما قاطعا . . ومع ذلك نراهم يركبون السيارات ويستخدمون الكاسيت والمنشورات المطبوعة لنشر دعوتهم . . ونجد في بيوتهم الكهرباء والمصاعد والسخانات . . ونراهم يخرجون على الكعبة بالمدافع الرشاشة . . فمن أين أتوا بكل هذه الوسائل أليس من المدينة الغربية الكافرة التي يرفضونها . . لماذا إذن لم يخرجوا علينا بالسيوف والدروع . . ولن نسمع منهم إذا جاء ذكر الإسلام إلا قطع

الأيدى والجلد والرجم وشعارهم . . لاجتهاد مع نص . . ومع ذلك هم يعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام منع قطع الأيدى أثناء الحرب وعمر منع قطع الأيدى في عام المجاعة . . اجتهد الاثنان رغم وجود نص قرآني مطلق بقطع يد السارق بلا استثناء . . فكيف احتكم الاثنان إلى العقل رغم وجود النص وكيف استثنى كل منهما . . ذلك درس عظيم في عقلانية الإسلام من النبي وخليفته . . ولكن نسمع من حولنا اليوم وفي نهاية القرن العشرين وفي عصر العلم من يريد أن يعطل العقل باسم الدين وباسم النص . . وينسى أن العقل العربي معطل بما فيه الكفاية من مئات السنين . . بل هو مغشى عليه . . بل غائب ولا وجود له . .

وتلك خطيئة وبليّة يمكن أن تكون أفدح من خطيئة المتصوفة لأنها ستكون خطيئة مسلحة بسلطان الحاكم خطيئة ستعود بالأمة الإسلامية بحجة قلم إلى عصر الحيام والحريم وإلى عصر ما قبل الفحم والبخار وإذا قلت لهم لو قطعنا يد السارق في عشرة جنيّات فماذا نفعل في سارق العشرة ملايين بالرشوة والاختلاس والتريف والعمولة . . ولا نجد لمثل هذه الأشياء نصاً . . ماذا نفعل في قضية مثل قضية لوكهيد . . أليست هذه الأنواع الجديدة من السرقة في حاجة إلى اجتهاد . .

وكيف نقطع اليد في عشرة جنيّات ونعفيها في عشرة ملايين ألا تكون فتنة وحضّ وتشجيع على هذه الأنواع من السرقات .  
الاجتهاد إذن أمر حتمي واجب ولازم ولا مفر منه مع النص وبدون نص .

والإسلام نفسه اجتهاد والإسلام حياة وفعل وتغيير وتكيف وتفكر وتدير

وتأمل وسماحة وطلب للعلم من كل منابعه نأخذه من المؤمن والكافر . ألم نأخذ من الكافر الكهرباء والبخار والذرة والإلكترونيات والطب والكيمياء . . فأى غرابة فى أن نأخذ من ابن عربى وغيره مانجده مفيداً ونرفض مانجده منحرفاً .

وقد سقط بعض الصوفية فى المغالاة والتطرف هذا صحيح ، ولكن سقط أيضا بعض علماء الشريعة فى التطرف والمغالاة والجمود والشكليات والمظهرية . . ولم تسلم كتبهم من المآخذ كما لم تسلم كتب الصوفية من المآخذ . . وخرج من هؤلاء فرق ضالة منحرفة وخرج من أولئك فرق ضالة منحرفة ، وأمامنا مافعله الخمينى وآياته فى إيران مثلاً حينما أسقط حكماً ظالماً وأقام فوضى شاملة أطلق فيها على الناس فرقاً مسلحة من الأولاد والصبية تهاجم البيوت وتروع الآمنين وتسجن وتعتقل وتقتل باسم الحرس الإسلامى وتنفيذ الشريعة . . وماهى بشريعة ولا هو بإسلام وإنما هى أهواء وأحقاد وغرام بالنكال والتنكيل على الناس تحت ستار الدين .

ولأحب أن يفهم إخواننا من هذا الكلام أننا ضد فكرة الحكم الإسلامى أو سيادة شريعة الله . . فهذا غير صحيح . . والحكم الإسلامى أملنا وأمل كل مسلم وسيادة الشريعة حلمى وحلم كل مؤمن ، ولكن ماأطالب به وأشرطه هو الفهم وحسن التطبيق وإدراك المتغيرات الجديدة والاجتهاد وعدم تعطيل العقل ورحابة الأفق وسعة الصدر والنظرة المستنيرة وعدم التعصب وعدم التحجير على الناس وعدم الجزافية فى رفض كل جديد . . وفى النهاية كل كتاب لأى طائفة يؤخذ منه ويرد ماعدا القرآن الذى تكفل ربنا بحفظه . فلم هذه الصيحات من هنا وهناك بإحراق الكتب

وتكفير الناس . . ولم كل هذا التربص والترصد من كل طائفة لطائفة . .  
حتى لنكاد نوشك في هذه الأيام أن ننقض على بعضنا البعض في حرب  
أهلية يتمناها أعداؤنا من الشرق والغرب ويستدرجوننا لها بكل فنون المكر  
والمخادعة .

لقد اعترفنا يا قوم بأننا خطاؤون ولازمنا مراجعة النفس وتصحيح المسار  
كل يوم . . وأين منكم من لا يخطئ وهذه فرق تتارية تخرج من عباة تكم  
لتقتل وتسفك الدم باسم أقدس ماتنادون به .  
لقد صدق رسولنا عليه الصلاة والسلام حينما قال : « إن هذا الدين  
متين فأوغل فيه برفق » .

فلنأخذ بهذه السنة الحميدة . . سنة الرفق والترقق واللين والهوادة والحلم  
والسماحة والعفو الصفح وسعة الأفق ورحابة الصدر ، فإن من يبحث في  
حقيقة الدين ويطلب جوهره . . لا يطلب شيئاً هينا بل يطلب شيئاً كبيراً بعيد  
المنال . . . . . والسير على هذا الدرب لا تنفع فيه العجلة ولا إطلاق الهتافات . .  
فالدرب متين ولا بد من السير برفق لمن يريد أن يصل إلى شيء .



## مسرح العرائس

أشعر بالندم يا إلهي حتى نخاع العظم من أني ذكرت سواك بالأمس  
وهتفت بغير اسمك وطافت بخاطري كلمات غير كلماتك .

سمحت لنفسي أن أكون مرآة للسراب ومستعمرة للأشباح .  
جهلت مقامي ونزلت عن رتبتي وترجلت عن فرسي الأصيلة لأركب  
توافه الأمور ولأمشي مع السوق وأزحف على بطني مع دود الأرض .  
خدعني شيطاني واستدرجني إلى مسرح العرائس الذي يديره والي تماثيل  
الطين والزجاج والحلى المزيفة .

استدرجني إلى بيوت القماش وقصور الورق وقدمني إلى ناس يتسمون  
للمصلحة ويحبون للشهوة ويقتلون للطمع ويتزاوجون للتآمر . . رجال  
وجوههم ملساء مدهونة ونظراتهم خائنة ولمساتهم ثعبانية ونساء تغطيهن  
المساحيق فلا تبدو ألوانهن الحقيقية بشرتهن مشدودة وجوههن مكوية

وخطواتهن حربائية وأيديهن تتسلل إلى القلوب يسرقن كل شيء حتى الحقائق .

عالم جذاب كذاب يضوع بالعطور ويبرق بالكلمات . . عالم لزج معسول تغوص فيه الأرجل كما يغوص النمل في العسل حتى يخنق بحلاوته ويموت بلزوجته .

والأصوات في هذا العالم كلها هامسة مبللة بالشهوة تتسلل إلى ماتحت الجلد وتخرق الضمائر وتأكل الإيمان من الجذور .

تذكرتك يارب وأنا أمشي في هذا العالم فشعرت بالغربة والانفصال ولم أجد أحداً أكلمه ويكلمني وأفهمه ويفهمني . . نبذوني كلهم ورفضوني كما نبذتهم ورفضتهم . . وأحسست بنفسى وحيداً غريباً مطروداً . . ملقى على رصيف أبكى كطفل يتيم بلا أم .

وسمعت في قلبي صراخاً يناديك .

كانت كل خلية في بدنى تتوب وتتوب وترجع وسمعتك تقول في حنان . . ليك عبدى . .

ورأيت يدك التى ليس كمثليها شيء تلتقطنى وتخرجنى من نفسى إلى نفسك .

واختفى ديكور القماش والورق وذاب مسرح الخدع الضوئية .

وعاد اللاشيء إلى اللاشيء .

وعدت أنا إليك

سبحانك

لا إله إلا أنت

ولاموجود سواك

القرب منك يضيف

والبعد عنك يسلب لأنك وحدك الإيجاب المطلق

وكل ماسواك سلب مطلق

علمت ذلك بالمكابدة وأدركته بالمعاناة وعرفته بالدم والعرق والدموع  
ومشوار الخطايا والذنوب وأنا أقع في الحفر وأتعثر في الفخاخ . . وكلما وقعت  
في حفرة شعرت بيدك تخرجني بلطف وكلما أطبق على فخ رأيتك تفتح لي  
سبيلا للنجاة . . وكلما وضعوني في الأغلال وأحكموا على الوثاق شعرت بك  
في الوحدة والظلمة تفكّ عني أغلالى وتربت على كتفى في حنان وإلهامك  
يهمس في خاطرى . . أما كفاك ما عانيت يا عبدى.

أما اتعظت . . أما اعتبرت . . أما جاء اليوم الذى تثبت فيه قدمك  
وتستقر خطاك على الطريق .

فأقول باكياً .

سبحانك يارب وهل هناك تثبيت إلا بك وهل هناك تمكين إلا بإذنك .  
أنت وحدك الذى أصلحت الصالحين وثبتّ الثابتين ومكنت أهل  
التمكين .

تعطى لحكمة وتمنع لحكمة ولا تسأل عما تفعل

شفيعى إليك صدقى

وعذرى إليك حبى للحق

وذريعتى إلى عفوك رغبتى فى الخير .

فمن خطيئأتى نبتت الحكمة كما تنمو أزهار الياسمين من الأرض السبخة .

ومن دموع ندمي علّمت الناس فصدقوني حينما كلّمتم لأنه رأوا كلماتي  
مغموسة بدمي

ومن عثراتي وسقطاتي أضأت مصباحاً هادياً ينجب الناس العثرات .  
وكل من عبر طريقي قلت له كلمة صدق ودلّته على السلامة .  
رب مأتيت الذنوب جرأةً مني عليك ولا تطاولاً على أمرك وإنما ضعفاً  
وقصوراً حينما غلبني ترابي وغلبتني طينتي وغشيتني ظلمتي .  
إنما أتيت ماسبق في علمك وماسطرته في كتابك وماقضي به عدلك .  
رب لا أشكو ولكن أرجو .

أرجو رحمتك التي وسعت كل شيء أن تسعني .  
وأنت الذي وسع كرسيك السموات والأرض .

# فهرس

صفحة

لحظة حب	٥
حينما تكون «أحبك» معناها أكرهك	١١
النار كامنة فى الحجر	٢١
هل هو عالم الجنون	٢٥
الرايات الكاذبة	٣١
هذا الجهاز سوف يغير العالم	٣٥
الإنسان ذلك اللغز	٤٣
الدجال يأتى على طبق طائر	٤٩
المستقبل	٥٣
لماذا خلق الله الدنيا	٥٩
دواء لكل داء	٦٥
خطيئة الصوفية الكبرى	٦٩
مسرح العرائس	٨١

## صدر للمؤلف

- |                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| ٢٣- الغابة                     | ١ - الله والإنسان          |
| ٢٤- مغامرة في الصحراء          | ٢ - أكل عيش                |
| ٢٥- المدينة ( أو حكاية مسافر ) | ٣ - عنبر ٧                 |
| ٢٦- اعترفوا لي                 | ٤ - شلة الأنس              |
| ٢٧- ٥٥ مشكلة حب                | ٥ - رائحة الدم             |
| ٢٨- اعترافات عشاق              | ٦ - إبليس                  |
| ٢٩- القرآن محاولة لفهم عصرى    | ٧ - لغز الموت              |
| ٣٠- رحلتى من الشك إلى الإيمان  | ٨ - لغز الحياة             |
| ٣١- الطريق إلى الكعبة          | ٩ - الأحلام                |
| ٣٢- الله                       | ١٠- أينشتين والنسبية       |
| ٣٣- التوراة                    | ١١- فى الحب والحياة        |
| ٣٤- الشيطان يحكم               | ١٢- يوميات نص الليل        |
| ٣٥- رأيت الله                  | ١٣- المستحيل               |
| ٣٦- الروح والجسد               | ١٤- الأفيون .. ( سيناريو ) |
| ٣٧- حوار مع صديقى الملحد       | ١٥- العنكبوت               |
| ٣٨- الماركسية والإسلام         | ١٦- الخروج من التابوت      |
| ٣٩- محمد                       | ١٧- رجل تحت الصفر          |
| ٤٠- السر الأعظم                | ١٨- الإسكندر الأكبر        |
| ٤١- الطوفان                    | ١٩- الزلزال                |
| ٤٢- الأفيون .. ( رواية )       | ٢٠- الإنسان والظل          |
| ٤٣- الوجود والعدم              | ٢١- غوما                   |
| ٤٤- من أسرار القرآن            | ٢٢- الشيطان يسكن فى بيتنا  |

- ٤٥- لماذا رفضت الماركسية  
٤٦- نقطة الغليان  
٤٧- عصر القروء  
٤٨- القرآن كائن حىّ  
٤٩- أكذوبة اليسار الإسلامى  
٥٠- نار تحت الرماد  
٥١- المسيح الدجال  
٥٢- أناشيد الإثم والبراءة
- ٥٣- جهنم الصغرى  
٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر  
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة  
٥٦- الإسلام ... ما هو ؟  
٥٧- هل هو عصر الجنون ؟  
٥٨- وبدأ العد التنازلى  
٥٩- حقيقة البهائية

## \* مجموعة المؤلفات الكاملة \*

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	قصص مصطفى محمود
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	روايات مصطفى محمود
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	مسرحيات مصطفى محمود
صدرت في بيروت عام ١٩٧٢	رحلات مصطفى محمود

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

١٩٩٩/٧٠٨١	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5828-8	الترقيم الدولي

١/٩٩/٣٩

طبع بمطابع دار المعارف ( ج . م . ع . )





## هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائماً على تقديم الأعمال  
الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى  
محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى  
ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبواباً جديدة لم تُفتح من  
قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية  
وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التي تحفل  
بالنظرات المعاصرة للفكر الديني والمقارنة بالنظرات  
العلمية الحديثة.. والتي لاتزال تثير مزيداً من الجدل  
المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى  
القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما تُرجمت بعض  
أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء  
المتميز المتنوع.



دارالمعارف

٠١٢٦٠٠/٠١



2.746  
215h  
999